الصراع على الحوض البصريّ في القدس مركّبات، إسقاطات، وتحدّيات

أ. د. راسم محيي الدين خمايسي

أستاذ التخطيط والجغرافيا الحضرية، قسم الجغرافيا، جامعة حيفا ورئيس مركز التخطيط والدراسات.

استهلال

يُشــكِّل الصراع عــلى البلدة القديمة في القــدس ومُحيطها، لُبَّ الــصراع الإسرائيليّ الفِلَسْطينيِّ. وَلِتأمين الغلبة الإسرائيليّة، نَهَجَتِ السّلطات الإسرائيليّةُ الحكوميّة والبلديّة، إنجازَ مصفوفةِ ضَبْطٍ ذكيّةٍ ذاتِ مركَّبات ليِّنةٍ وقاســية' لبسطِ سيطرتِها على القدس عامّةً، وعلى البلدة القديمةِ، قلبِها الحَرَم القُدسيِّ، ومُحيطِها خاصَّةً. وَتُرْجِمَ هذا النَّهجُ الإسرائيليُّ إلى خُطَطٍ وبرامجَ تطبيقيّةٍ تُنْجَزُ بوساطةِ منظومةِ تخطيطٍ حيزيٍّ هيكليٍّ مُقَوْنَنٍ وتوجيهيٍّ، ومَبْنيّةً على رؤيةٍ قوميّة دينيّة إثنيّة لخصَّها قانون أساس- يُعرف بقانون القومية 2018م في المبادئ الأساسية [1]: «3. عاصمة الدّولة: القدس الكاملة والموحَّدة هي عاصمة إسرائيل».

(1) tps://www.adalah.org /uploads /uploads /%D982%.%D8%A7%D986%.%D988%.%D920%86%.%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3-%20%D8%A7%D984%.%D982%.%D988%.%D985%.%D98%.A%D8%A9.pd

سَــبَقَ هذا القانونَ إقرارُ قانون أساسي: أورشليم القدس عاصمةُ إسرائيلَ، والذي أُقِرَّ في 30 تمّوز 1980م، حيث أُعْلِنَ في البند «1. أُورشليم القدس الكاملة والموحَّدة هي عاصمة إسرائيل[1]. حدَّدَ هذا القانونُ كذلك أدواتِ تطبيقِــه، وحدودَ بلديّة القدس الإسرائيليّة الموسَّعة، لتشــملَ حوالي 126كلم مربَّعًا، بعد أنْ ضَمَّتْ بلديةَ القدس الأردنيّة/ الشّرقيّة (البلدة القديمة ومُحيطها وأراضيَ من أصل 28 قريةً فِلَسْطينيّةً في محافظة القدس، مثل بيت حنينا، شــعفاط وصور باهر). بموجب هذا القانونِ أُقِرَّتْ حدودُ البلديّة الإداريّة، ومَعَ ذلك بَسْــطُ السّيادةِ الإسرائيليّة على الأرض/ المكان الموسَّــع، من منطلق تثبيت السّيادة والسَّــيطرةِ على الجغرافيــا، بينما كانَ هناك تقليصُ عددِ السّــكّان الفِلَسْــطينيّين، بحيث حَــدَّدَتْ حدودَ البلديّة من منطلــق اعتباراتٍ أمنيّة ديموغرافيّــة، ومَنَحَتْ مكانةَ «مقيم ثابت» للفِلَسْطينيّين المَقْدسيّين، من منطلق أنَّهم مؤقَّتون[2].

هذا الفصلُ المُمَنهجُ بين مكانة المكان/ الأرض الثابتةِ، ومكانةِ الإنسان/ الفِلَسْطينيِّ المَقْدسيِّ المؤقَّتِ، مَرَدُّهُ إلى تطبيق أيديولوجيّةِ تثبيتِ السَّــيطرةِ على الأرض؛ تحقيقًا لروايةٍ وادِّعاءٍ عقائديٍّ دينيٍّ بأنَّ هذه الأرضَ مُنِحَتْ بأمرٍ ربّانيٍّ بصفتِها جزءًا من «أرض إسرائيل تابعةٍ لشعب إسرائيل». لتحقيق هذه الرّوايةِ تمَ ذلك ببسطِ قوَّةِ الدّولة التي احتلَّتِ الأرضَ وضمَّتْها إليها، بخلاف كلِّ القوانين الدّوليّةِ والأعرافِ الأُمميّةِ، وَعَمَلًا بقاعدةِ أنَّ الأرض لا تحتمل أنْ تكونَ فارغةً، بل يجب أنْ يَتُمَّ إخضاعُها لإشــغال قوميٍّ/ إثنو-جيوسياسيٍّ، ولاحقًا إقامةُ مســتوطناتٍ، كجزءٍ من مشروع كولونيــاليٍّ احتلاليٍّ إحلاليٍّ هجينٍ[3]. هذا

(1)https://www.palquest.org/ar/historictext/9653/%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3-%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%B4%D9%84%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%B9%D8%A7%D8%B5%D9%85%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84

(2) Hazan Anna, 1995, Jerusalem Municipal Boundary 1948-1993. The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem, pp:11-18.

(3) خمايسي راســم محيي الدين، 2022، التخطيط الحيزي والممارسة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين،

الإشغال الجيوسياسيُّ الكولونيالي تمَّ بوساطةِ اتِّباعِ إستراتيجيّة تطبيقِ مصفوفةِ ضبطٍ مصدرُها فِكْرٌ إستراتيجيٌّ أمنيٌّ، مكوَّنة من ثلاثةِ مركَّباتٍ ومراحلَ: الإحاطة/ التطويق، التقطيع والتغلغل؛ من أجلِ الإحلالِ. هذه المراحل مورس تطبيقها في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، واستأنف تطبيقها خلال 55 سنة من احتلال الأراضي الفِلَسْطينيّة، ويشمل الضِّفَّةَ الغربيّة والقدسَ الشّرقيّة على وجهِ الخصوص. سبق إنجازَها إعدادُ خُطَطٍ إقليميّةٍ انطلقت مِنِ اعتبارات جيوسياسيّةٍ وأمنيَّةٍ[1].

كصورةٍ مصغَّرةٍ لممارسة تطبيق إستراتيجيّة الإحاطة/ التَّطويق، التَّقطيع والتغلغل، فقدْ أُعِدَّتْ وأُنْجِزَتْ خططٌ في حدود بلديّة القدس بوساطة إقامة حِزامٍ من المستوطنات الإسرائيليَّة؛ جزءٌ منها داخلَ حدود بلديّة القدسِ حَسْبَ التّعريف الإسرائيليِّ، مثل التَّلَّةِ الفرنسيّة، راموت، النبيّ يعقوب، جيلو، وتلبيوت ميزراح، وأخرى محيطة بها ماعله أَدوميمَ، جبعات زئيف. كما أُقيمتْ مستوطناتٌ لتقطيع التّواصل الحضريِّ المَقْدسيِّ، مثلُ إقامة راموات أشكول. ولاحقًا تَبِعَها التّغلغلُ في الوجود الفِلَسْطينيّ المَقْدسيّ لتقطيعه وإضعافه. هذا التغلغلُ يجري على قَدَمٍ وساقٍ حاليًّا في البلدة القديمة ومحيطها، فيما يُعرف بـ«الحوض المقدس» أو كما نُطلق عليه في هذه الورقةِ الحوض البصريّ؛ أيِ المِنْطقةُ المحيطةُ بالبلدة القديمة.

تهدف هذه الورقةُ الموجزةُ إلى رَصْدِ حال الصّراع الدّائرِ على السّيطرة على البلدة القديمة، والحوضِ البصريّ المحيط بها، كجزءٍ من تطبيق إستراتيجيّةِ التَّغلغلِ، وَبَسْطِ

المستقبل العربي، العدد 525، السنة 45، ص. 45– 58.

(1) אריאלי שאול, 2017 , משיחיות על סלע המציאות מפעל ההתנחלות ביהודה ושומרון: חזון או אשליה,

https://www.shaularieli.com /wpcontent /uploads /201808 / /%D7%9E%D7%A9%D799%.%D797%.%D799%.%D795%.%D7%AA-%D7%A2%D79%C-%D7%A1%D79%C%D7%A2-%D794%.%D79%E%D7%A6%D799%.%D790%.%D795%.%D7%AA-191117.pdf

مصفوفــةِ الضَّبط الإسرائيليّة، وعليه لتغيير واقعه الديموغرافيّ، والجغرافيّ والتُّراثيّ. بعد تعريفِ مِنْطقةِ الدّراســة، الحــوض البصريّ، نقوم برصدِ واقعِــه الدّيمغرافيِّ، الجغرافيّ، مِلْكيّة الأراضي، وتســويتِها، واســتخدامِ التَّخطيط الحضريِّ، وذلك يشملُ تطبيقَ نظامِ التّراخيص الذي تعملُ به الدَّولة وبلديّةُ القدس الإسرائيليّة، بشكل انتقائيٍّ، وعلى أساس انتماءٍ قوميٍّ/ إثنيٍّ. نُتْبعُ ذلك بِعَرْضٍ ونقاشٍ نقديٍّ لعمليّة الرَّصد، ولاحقًا نقوم بعرضِ الإســقاطات، ونُناقش التّحدّياتِ الفِلَسْطينيّةَ وَتَبِعاتِها على المَقْدِسيّين، وعلى هُوِيَّةِ المدينة، والاستقرار بها.

نعتمد في صياغة هذه الورقةِ، وفي العرضِ والتَّحليلِ بها، على المنهجِ الوصفيِّ النَّقديِّ المقارنِ، مُعتمدينَ على أبحاث ســابقةٍ أُجْرِيَتْ، وَمُخَطّطاتٍ أَعَدَّها كذلك الكاتبُ، والذي يستخدمُ منهجيّة «الباحث كلاعب» بصفتِه «مخطط فَعّال مقاوم» يعملُ في مجال التَّخطيط الحيزيّ في إسرائيلَ وَفِلَسْطينَ. كما أنَّ الورقةَ تحاول أنْ تربطَ بين نظامِ الأراضي، وسياساتِها (امتلاك وإدارة الأرض بما في ذلك مصادرتها بقوَّة الدَّولة الكولونياليّة المحتلَّة)، وسياسات التَّخطيط، وتَبِعاتِها، وإسقاطاتِها على تَسْــوياتٍ جيوسياسيّةٍ، والتعامل مع حال الحوض البــصريّ «المقدَّس» «التاريخيّ» وقلبِــه البلدة القديمة، على عَــدِّ أنَّ الصراع العميقَ بين الإسرائيليّين والفِلَسْــطينيّينَ «يتقلَّص» ويُبْرَزُ بالصّراع على السّيطرة على الأماكن المُقدَّسة وقلبِها الحَــرم القُدُسيّ الشَّريف. وهكذا أصبح الصراعُ الإسرائيليُّ الفِلَسْــطينيُّ/ العربيُّ يتركَّزُ في الأراضي الفِلَسْــطينيّةِ، وتَحوَّلَ من «الــصّراع على باب المندب» إلى «الصِّراع على باب العمود»[1]. أيْ أصبح الصرّاع القوميُّ يتقلَّصُ من المســتوى الإقليميِّ والعربيِّ، إلى البُعد الوطنيِّ الفِلَسْطينيِّ، وتركيزُه في البلدةِ القديمة المَقْدسيّة، ومحيطها الحوض البصريّ «المقدس»، عامَّةً، وبشــكل خاصٍّ على الحَرَمِ القُدُسيِّ الشّريف، ومنه ينطلق لتســوياتٍ

(1) خمايسي راســم محيي الدين، 2021. احتجاجات ســاحة باب العامود والــصراع على الحيز العام في القدس. المقدسية، 11، ص: 113–146.

جيوسياسيَّةٍ قُطْريّة وإقليميّة، إذا ما تَمَّتْ تسوياتٌ وترتيباتٌ فِلَسْطينيّةٌ إسرائيليّة.

الحوض البصريّ كمفهوم تخطيطيّ

إنتاجُ نسيج المدينة هو عمليّةٌ متحرِّكة ومتطوِّرة، يتمُّ بموجب تخطيطٍ حضريٍّ حيزيٍّ حداثيٍّ، يسعى إلى إبراز الأفضليّات النِّسبيّة والتَّنافسيّة، من خلال التركيز على مشهد المدينةِ وخصوصيّاتِ المعالمِ والمشاهدِ المركزيّة التي توصَفُ بها[1]. تسعى كلُّ مدينة أنْ يكون بها مَعْلَمٌ مركزيٌّ يكونُ عنوانًا شاهدًا لها وعليها. يتحوَّل هذا المَعْلَمُ في المشهد الحضريِّ؛ ليكون البوصلةَ الموجَّهةَ لتخطيطِ المدينة وإدارتِها، وَرَسْمِ حركةِ تطوُّرِها الرمزيّ، الوظائفيّ، البِنْيويّ، الاقتصاديِّ، وتوجيهِ حركةِ المواصلات بها وإليها [2]. هذا المَعْلَمُ الطّبيعيّ، أوِ المُنشأُ في حيِّزِ المدينة يخصُّها ويمنحُها سِماتٍ تُمَيِّزها عن مدن أخرى، مثلِ الأهرامِ في القاهرة، برج إيفل بباريس، قصر باكنغهام، أو ساعة غرينتش في لندن، الكعبةِ المُشرَّفة في الحَرَمِ المكّيّ في مكّةَ، الحرمِ النّبويِّ في المدينة المنوَّرة، قلعةِ حلبَ، الكولوسيوم في روما، الأكروبوليس في أثينا. تتشكَّل بعض المدن حول مَعْلَمٍ مركزيٍّ لها، وبعضُها الآخر يُنْتج عدَّة مراكزَ؛ لِتُشكِّلَ معالمَ المدينة، وذلك يشمل المعالمَ الدّينية [3] أو العناصر البصريّة والجماليّة [4]. وإنَّ مخُطّطي ومُصَمِّمي المدن يعتمدون في تشكيلهم الشَّكلَ، ونسيجَ

(1) Mumford, Lewis. 1996. What is a City? The City Reader, London.

(2) Lynch, Kevin. 1981. A Theory of Good City Form. MIT Press, Cambridge.

(3) طاهر أسماء نيازي، العتابي مهدي صالح الفرج والعباسي زيد محمد قدوري، 2014. أثر المعالم الدينية في مخطط المدينة العربية الإسلامية: مدينة سامراء–حالة دراسية. المجلة العراقية لهندسة العمارة، المجلد 28، العددان 1–2، ص: 127 –147. يُنظر الرابط:
https://uotechnology.edu.iq/dep-architecture/IraqiArchMagazine/issues28/7.pdf

(4) عبد الحميد علي شعبان الفران هاني خليل. 2009. أهمية الخصائص والعناصر البصرية والجمالية في المدينة «دراسة تحليلية لوسط مدينة نابلس». يُنظر الرابط:
https://staff.najah.edu /media /sites /default /files /Visual_&_Aesthetic_Aspects_&_Elements_of_the_City_Analytical_Study_of_the_Centre_of_Nablus.pdf

التَّصميمِ الحضريّ للمدينة على هذه المعالِمِ والشّــواهدِ التّاريخيّة في محيط المدينة ويبرزونها، أو يُنْتِجون معالِمَ جديدةً، مثلَ مبنى الأوبرا في ســيدني، برج خليفة في دبي، مسجد الشيخ زايد في أبوظبي. هذه المعالمُ والشواهد تُشكّل عناصرَ بانيةً لهُوِيّةِ المدينة، وتَرْسِمُ طابَعَها في الوعي بشأن انتماء المدينة، وتبعيَّتِها الثّقافية، الحضاريّة واتِّجاهات تطوُّرِها.

ونظرًا لأنَّ المدن تتحوَّلُ نتيجةً لِتَطوُّرات عضويّةٍ تراكميّة، وأخرى متأثِّرة من تغيُّرات جيوسياســيّة، ديموغرافيّة نشــأتْ بدعم احتلالٍ أجنبيٍّ، أو تغيُّراتٍ سوســيو- ثقافية داخليّة، ما يُحْــدِثُ خَلَلًا في أولويّاتِ تطوُّر المدينة، بما في ذلك تغييرُ معالِمِها، إمّا بشــكل مبرمــج ومخطَّطٍ لبعض هذه المشــاهدِ، يتمُّ إبرازُها، وإمّا محاولة محوِهــا، وإمّا على الأقلِّ تحويلُهــا من المركزيّة إلى الثانويّة لتغيير هُوِيّةِ المدينة. نشــهد هذا التغيير بشــكل ملحوظ في المدن التي تعاني من صراعات جيوسياسيّة، سوســيو-ثقافيّة، هذا الصراعُ ربما يؤدّي إلى تقســيم المدينة، أو بســط مجموعة إثنيّة/ قوميّة قوَّتها على المدينة. هذه القوَّة المسيطرة الحكومية والبلدية تعمل على تغيير شــكلِ المدينة ونســيجِها، وتقوم باستخدام مصفوفةِ ضبطٍ تشملُ مُركَّبات ناعمةً مثلَ تخطيطِ المدينة وتصميمِها، لإنتاجها، ولاحقًا باستخدام مُركَّبات مصفوفةِ الضبطِ القاســية؛ لترجمةِ المُركَّبات الناعمةِ لإنتاج حيِّزٍ حضريٍّ مختلفٍ يتناسب وروايةَ الدولة وأهدافَها، والمجتمعَ المسيطرَ على المدينة.

أمّا الأدواتُ التي يقوم مخطِّطو/ مُصمِّمو المدن ومدراؤها، لحفظِ المَشــاهدِ الحضريّة وإبرازِها، تكون بوســاطة إنتاجِ وعيٍ عامٍّ وصياغتِه، يُمكِّنُها من تطبيق مُخطَّطاتها، والتي تشمل على خَلْقِ فراغاتٍ حيزيّةٍ محيطةٍ بالمَعْلَمِ الحضري، وضبط التطور في محيطه. وممّا يُسهم في تطبيق هــذه الأدوات التخطيطيّة الحيزيّة في محيط المدينة، المبنى الفيزيائيّ/ الطبوغرافيّ الذي تتموضع به المدينة بشــكل عامٍّ، أو المعالِمُ والمَشاهد المركزيّة بها. هذا المبنى الفيزيائيّ يؤثِّر في تطبيق الأدوات لحفظِ المشــاهد الحضرية وإبرازها، في محيط المدينة، مرتبطةٌ بحال الصراعِ في المدينة وعليها. هذا الصراع يصيغ مدى التوافق والتماهي مع أدوات التخطيط

الحيزية المشكلة للشكل والنسيج الحضري. في حال الصراع على هُوِيَّة المدينة، وعدم توافق على رواية، أهداف التخطيط، فإنَّ التعامل مع أدوات التخطيط يتم بشكل سلبيٍّ ويؤدّي إلى تطبيق سياساتٍ إحلاليّة تسعى إلى تبديل حال الموقع/ الحيّز ليتناسب مع رواية المُحِلِّ على المُحَلِّ عليه الأصليّ، ما يُسهم في تأجيج الصراع على المدينة، كما هو الحال في القدس.

الحوض البصريّ في القدس- تعريفًا

لكلِّ مَعْلمٍ دينيٍّ، تاريخيٍّ، أو معماريٍّ، يوجد له حيِّزٌ حضريٌّ يَتناسب طرديًّا ومكانةَ هذا المَعْلَمِ. هذه المكانة متأثِّرةٌ من رواية امتلاك المَعْلَمِ وأيديولوجيَّتِه وسياساتِه، ووضعِ توجيهاتٍ لمخطِّطي المدينة ومُصمِّميها، والمدراءِ الحضريّين وإبرازِه في محيط المدينة، أوِ استخدامه لغاية ضبطِ استخداماتِ الأراضي المحيطة به. والسّؤالُ المطروحُ يتعلَّق بحجم امتداد هذا الحيِّزِ، والضوابط التّخطيطيّة/ الإداريّة المُسْقَطة والمفروضة عليه. في واقع مدينة القدس لا يختلف اثنانِ على أنَّ المَعْلَمَ الحضريَّ الصائغَ لِمَشهد المدينة وفضائِها، وتكوينِ شَكْلِها ونسيجِها العُمرانيّ والوظائفيّ، هو الحَرَمُ القُدُسيُّ البالغُ مساحتُه حواليْ 144 دونمًا، ومحيط القدس القديمة، والتي تشملُ حواليْ 900 دونمٍ، المحاطة بسور القدس. هذا السورُ صاغَه وأَعادَ تجديدَه، وَحَصَّنَ القدسَ القديمةَ كما هو حاليًّا، هو السّلطانُ سليمان القانونيُّ العثمانيُّ الذي دامَ حُكمُه بينَ 1520- 1566م.

تَمَوْضَعَتِ البلدةُ القديمة على رابيةٍ تُشكّل لسانَ هضبة ممتدَّةٍ من الشّمال الغربيّ باتِّجاه الجنوب الغربيّ، محاطةٍ بِوُدْيانٍ من الجهةِ الشّماليّة الغربيّة والشّرقيّة، وتَتَّحِدُ معًا جنوبًا في المِنْطقة المعروفة بسُلوانَ اليومَ، وتمتدُّ شمالًا باتِّجاه مِنْطقة سهليّةٍ، والتي تُعْرف باسْمِ الجراحيّة حتّى مِنْطقة شمعونَ الصّديقِ، وكَرْمِ المفتي. يمتدُّ الوادي الشرقيُّ شمالًا حتّى أرضِ السّمّار (التّلّة الفرنسيّة حاليًّا). أمّا الوادي الغربيّ فَيمتدُّ حتّى مِقْبرةِ مأمن الله (مميلا). تطلُّ على مِنْطقة البلدة القديمة سلسلة جبل المشارف والزيتون. هذه السّلسلة تشكِّل فَصْلًا بين مِنْطقتَيْنِ مناخيَّتينِ، شبهِ صحراويّة ومعتدل، شرق أوسطيّ. هذا المبنى

الطبوغرافيّ أثَّرَ في تكوينِ الشـكل الحضريّ للقدس القديمـة ومحيطِها البصريّ. كما أنَّ التكوينَ الجيومرفولوجيّ صاغَ محيطَ الحوض البصريِ للقدس القديمة.

يُمكن تلخيصُ تعريفِ الحوض البصريّ بأنَّه يشملُ الحيِّزَ/ المِنْطقة التي منها يُمكِن أنْ ترى أو تُري المَعْلَم الحضريّ في نسيج المدينة. وذلك يعني في حال البلدة القديمة المَقْدسيّةِ أنَّه الحيِّزُ الذي يشملُ كلَّ الحيِّز المحيط بها، ومنه ممكنٌ أنْ يرى المُشاهدُ البلدةَ القديمة دون أيِّ حاجزٍ، ودون أنْ تكـونَ مِنْطقةً مُغَطِّيةً أو مُغَطّاةً، أو ما تُعْـرف بِعِلْمِ الكرتوغرافيا/ عِلْمِ رَسْـمِ الخرائط «منطقة مَيْتَةٌ- مِنْطقةُ ظلّ»، أو هي المِنْطقـة المرئيّة من البلدة القديمة باتِّجاه أطرافها ورَديفها. يشـمل الحوضُ البصريُّ مِنْطقةً مُحاطَـةً بكلِّ الاتِّجاهات (دائرة 365 درجة)، دون مُعوّق، وحتّى خطِّ توزيع المياه من سـفوح الجبالِ، أو التّلال المحيطة؛ لِتَجريَ في الوُديان المحيطة بالبلدة القديمة.

دراسـةُ تَمَوْضُعِ القدس القديمة داخلَ السّور، يُظهر أنَّ شكلَها الحضريَّ صِيغَ متأثِّرًا بالطوبوغرافيا والتسـوياتِ التي جرت عليها؛ لإقامة مبانٍ ومنشآتٍ عمرانيّة ودينيّة، بما في ذلك طُرُقٌ وأسـواق. كما أنَّ وظيفة سـورِ القدس ليس فقط الغرضُ منه الحمايةَ (كما هو الأمرُ من الجهة الشّـمالية للبلدة القديمة)، بل له وظيفة دعم تسـوية الأرض لتشكِّلَ مساحات منبسطةً، كما هو شأنُ ساحات الحرمِ القُدُسيّ، حيث إنَّ ارتفاع السور من الجهة الجنوبيّة هو لإسناد المسجد القبليّ/ المسجد الأقصى والمسجد المرواني، ودَعْمِه؛ وذلك لأنَّ الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة هي أخفضُ نقطةٍ في البلدة القديمة (ارتفاع 720 مترًا عن سـطح البحر) مقابل أعلى نقطة (ارتفاع 785 مترًا عن سـطح البحر) موجودة في الزاوية الشّماليّة الغربيّة للبلدة القديمة.

هـذا التعريف الجغـرافيّ التخطيطيّ الوظائفيّ المحايد للحـوض البصري، في محيط البلدة القديمة، يأخذ بُعدًا آخَرَ عند نَعْتِه باسْـمِ «الحوض المقدس» حَسْبَ رواياتٍ تعتمد تأصيلًا دينيًّا، وتعريفاتٍ أثريّةً انتقائيّة. ومَنْحُ صفةِ القُدْسيّة لحيِّزِ الحوض البصريّ، يخلق إشـكالاتٍ في التعامل مع تخطيطه وتطويره، خاصّة في حالة اسـتخدام التقديس بشكل

انتقائـــيٍّ؛ لتغليب مجموعة دينيّـــة على أخرى، وفي حالة الصِّراع عـــلى المدينة والوطن [1]. وفي حالة القدس، فـــإنَّ الصراع هو كذلك بين رواية يهوديّة توراتيّة صهيونيّة، تؤسِّـــسُ لاستيطان كولونياليّ، من خلال عَبْرَنَةِ الحيِّزِ وتهويدِه، وبين حالِ تطوُّرِ نسيج مدينةٍ في واقعٍ فيزيائيٍّ، وتشـــكيلٍ ديموغرافيّ يعيش في مكانٍ ذي معانٍ قِيَّمِيّة خاصّة لســـاكنيه وزائريه. يســـعى هذا التقديس للمكان بالاعتماد على رواية انتقائيّة مُمَيِّزة، لوضع حالة الثبات على المكان، ولتطبيـــق مركَّباتٍ رمزيّة من مصفوفة الضبطِ، وتثبيتها في الوعي العامِّ، وترجمتها في الحيِّز، من خلال تغيير حال مشـــهد الحيِّز/ المكان الفيزيائيِّ، الجغرافيّ والدّيموغرافيّ. هذا التغيير يصوغ حالَ المكانِ بموجب أيديولوجيّة تقديســـيّة تُبرِّرُ أخلاقيَّةَ تغييره لخدمة الدَّولة المسيطرة.

يعود اســـتخدامُ اصطلاحِ «الحوض المقدس/ الحوض التاريخيّ» إلى تسمية عقائديّة دينيّة صيغت في إطار جيوسياسيّ [2]. بموجب الرّواية التوراتيّة، وما تَبِعَها مِنِ اجتهاداتٍ أُطْلِقَ عليها اسْـــمُ «إيرتس هكودش- الأرض المقدَّسة». بالاعتماد على ذلك؛ واستكمالًا له أُطْلِقَتْ على فِلَسْـــطينَ، خلال الحملات الصّليبيّة، وما بعدها، باسْمِ «الأرض المقدسة» (Holy Land)[3]. هذه التســـميةُ جـــاءت بموجب التَّعريفات الغربيّة المســـيحيّة، والتي

(1) Wendy Pullan & Maximilian Sternberg (2012) The making of Jerusalem's 'Holy Basin', Planning Perspectives, 27:2, 225248–, DOI: 10 , 108002665433 , 2012 , 646772 /.

(2) اصطلاح أطلقه الإسرائيليون رســـميًّا في مفاوضات الحلّ النهائي في كامب ديفيد سنة 2000، أمّا في المفاوضات التحضيرية وغير الرســـمية فقد ظهر هذا الاصطلاح منذ أواســـط تسعينيات القرن الماضي، ويقصـــد به المنطقة الجغرافية المحيطة بالبلدة القديمة، وقد يتَّســـع مداها أو يضيق تبعًا للتطوُّرات. وعلى الرغم من الموافقة الإسرائيلية المبدئية على معايير الرئيس الأميركي الأسبق كلينتون، والتي تقضي بتقسيم القدس تبعًا لانتشـــار وانتماء الســـكان، بحيث تصبح الأحياء الفلســـطينية تابعة للســـلطة الفِلَسْطينيّة، والأحيـــاء الإسرائيلية تابعة لإسرائيـــل، إلاّ إن المفاوض الإسرائيلي أصرَّ عـــلى خصوصية منطقة البلدة القديمة وحوضها.

(3) Biger Gideon, 2022. Iconoclasm – A Geographical Viewpoint, European Review, Vol ume 30, Supplement S1, November, pp. S133–S143. https://doi.org /10 , 1017 / S106279872200031X

تتبنّى الرّواية والعقيدة التوراتيّة، والتي صاغت حدودَها بمجال سَـكَنِ أسباط إسرائيلَ؛ بموجب الرواية الدينيّة التاريخيّة اليهوديّة[1]. بينما لدى المسلمين تُعْرَفُ فِلَسْطيُن بالأرض المباركة حَسْـبَ التعريـف القـرآنيّ [2]، أو أرضِ الإسراء والمعـراج، دون تحديد حدودٍ جيوسياسيّة متوافقٍ عليها، تُعَرِّفُ حول المسجد الأقصى جغرافيًّا؛ مع ذلك، فهذه التسمية في القرآن تمنح فِلَسْطينَ عامّةً، ومحيطَ الحرمِ القُدُسيِّ- المسجدِ الأقصى أبعادًا قِيَمِية خاصّة ومتميِّزة في المُعتقدات والفقه عند المسـلمين. هذه التَّسمية الدّينيّة حَسْبَ الأديان الموحَّدة الثلاثة (اليهوديّة، المسـيحيّة والإسلاميّة) لكلِّ فِلَسْـطينَ، بأنَّها مقدَّسة/ مباركة تُرْجِمَتْ خلال الحمـلات الصّليبيّة، والرحلات الاستكشـافيّة الغربيّة، إلى محيـط جغرافيٍّ لكلِّ فِلَسْطينَ، ولاحقًا تمَّ إطلاقُها على محيط البلدة القديمة، خاصَّة بعد الحرب العالميّة الأولى، واحتلال بريطانيا فِلَسْـطينَ، وَبَسْطِ انتدابِها عليها. اسـتخدمَ هذا الانتدابُ دوافعَ دينيّة لِبَسـطِ سيطرته، وَعَمِلَ على إجراء حفريّات أثريَّة تنقيبيّة لفحص الرّواية الدّينيّة التّوراتيّة والمسـيحيّة وإثباتِها، بما في ذلك بالقدس. كما قام الانتداب البريطانيّ بإطلاق أسماء لمواقعَ مُسْـتقاةٍ من الرواية الدّينيّة التاريخيّة، وتغييرِها. بالموازاة، قام الانتداب البريطانيُّ بِسَـنِّ قوانينَ، وإعدادِ مُخطَّطاتٍ هيكليّة؛ لضبط عمليّة البناء بموجب هذه القوانين والمُخطَّطات. لذا فإنَّ تسـمية الحوض المُقدَّس، وَصَبْغَ صفةِ القُدسيّة على مكانٍ، هو نتاجُ رواية العقائد الدينيّة التي عُرْفِتْ بها فِلَسْطينُ، وقلبُها القدسُ، وَدُرَّتُها الحرمُ القدسيُّ- المسجد الأقصى. في حيِّز البلدة القديمة تتوطَّن أمكنة / مبانٍ/ معالم دينيّة وتاريخيّة مَنَحَتْهُ قيمةَ التَّقديس [3].

(1) Biger Gideon, 2022. Iconoclasm – A Geographical Viewpoint, European Review, Vol ume 30, Supplement S1, November, pp. S133–S143. https://doi.org /10 , 1017 / S106279872200031X

(2) مصدر التعريف بالأرض المباركة مأخوذ من الآية رقم 1 من سـورة الإسراء والتي تنص: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسـجد الحرام إلى المسـجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير».

(3) Welfare Association. 2004. Jerusalem Heritage and Life: The Old City Revitalization Plan. Jerusalem: chapter 2; pp /2546–

كما تتوطّن في محيط/ حوض البلدة القديمة، مواقعُ مُرتبطةٌ بالبلدة القديمة منحت كذلك قيمــةَ التّقديس. بموجب هــذه المكانة للمكان تمَّ تعريف الحــوض التاريخيّ في أدبيّات الرّحالــة وَزُوّار القدس، خاصّة الاســتشراقيّين، والذين أطلقوا عليه تســمية (الحوض المقدس Holy Basin)، فيه تتوطّن مواقعُ دينيّة مســلمة، مسيحيّة ويهوديّة محيطة بالبلدة القديمــة، ولاحقًا تمَّ التعامل معه بشــكلٍ مميَّزٍ، خلال فترة الانتــداب البريطانيّ، وبعد احتــلال القدس عام 1948. بهذا السّــياق نُقِلَ عن دافيد بن غوريون قوله: «أورشــليم ليســت شعفاط، بيت حنينا أو صور باهر، وأيضًا ليســت أبو ديس، إلّا بالذات الحوض المقدَّس- جبل البيت والبلدة القديمة» [1].

تســمية «الحوض التاريخيّ» أوِ «الحوض المقدس» وتخصيص التعامل معه أخذ دَفْعةً وشيوعًا كجزءٍ من وضعِ تسويات جيوسياسيّة إسرائيليّة لمستقبل السّيادة على القدس [2]،

(1) يتســيك تشلر، 2006, 05, 28، وضعت اليد على كثير لم تقبض: أوهام وحقائق في القدس الكاملة. جريدة غلوبــس https://www.globes.co.il /news /article.aspx?did=1000096319. حســب تشــلر اقترح بن غوريون هدم الســور حول البلدة القديمة لدمجها مع محيطهــا وخلق تواصل مع باقي القدس.

(2) Ramon Amnon (ed.), 2010. The Historic Basin of Jerusalem Problems and Possible Solutions, The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem. https://jerusaleminstitute.org.il /wpcontent /uploads /201906 / /PUB_basin_eng.pdf.

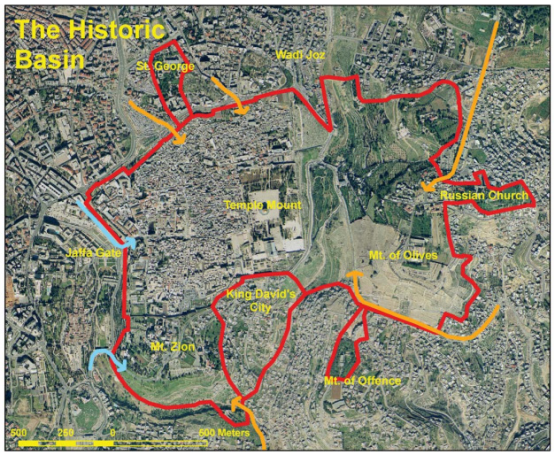

وذلك بعد صياغة اتّفاقيّات مرحليّة بين منظّمة التحرير الفِلَسْطينيّة وإسرائيل، والتي تُعْرَفُ باتّفاقيّات أوسلو [1]. محاولةُ تعزيزِ اصطلاح الحوض المقدّس- الحوض التاريخي وتمْكينِه، كان مُبيَّنًا في المُخطّطات الهيكليّة الرسميّة والتوجيهيّة التي أُعِدَّتْ للقدس، خلال الفترة الانتدابيّة، وبعد احتلال القدس عام 1967م، خاصّة بمخطّط رَقْمِ عم/ 9 البلدة القديمة ومحيطها [2]. ترجمةُ الضوابط على الحوض البصريّ ازدادتْ بعد تَذْويتِه في الخطاب واللُّغة التي طَرَحَتْها القانونيّة الإسرائيليّة روت لبيدوت، وَتَبِعَها طاقَمُ عملٍ في معهد القدس للدّراسات الإسرائيليّة، والذي أنتج دراساتٍ، سيناريوهاتٍ، وخُططًا لتحديد مجال الحوض البصريّ، وركَّزَ على استخدام اصطلاحِ «الحوض التاريخيّ والحوض المقدَّس» وحدَّدَ بموجب خرائطَ لاعتمادها في حالِ الوصول إلى تسوية جيوسياسيّةٍ مع الفِلَسْطينيّين [3]. أمّا مخُطَّطُ هيكلِي القدس 2000م والذي تمَّ، صَدَّقَه للإيداع اللجنةُ اللوائيّةُ للقدس، وحتّى الآن لم يُصَدَّقْ للتنفيذ، فقد وَضَعَ السّياساتِ التّخطيطيّةَ لِما حدَّده تحت اسْمِ/ تعريف «الحوض التاريخيّ» أو «الحوض المقدّس» [4]. هذه السياسات التخطيطيّة

Moshe Hirsh & Kobi Michael, 2003. International Involvment in the «Holy Basin» Area in Jerusalem: Analysis of Possible Options. The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem.
https://jerusaleminstitute.org.il /wpcontent /uploads /201905 / /PUB_meuravbinl.pdf

(1) https://www.marefa.org /%D8%A7%D8%AA%D981%%D8%A7%D982%%D98%A%D8%A7%D8%AA_%D8%A3%D988%%D8%B3%D984%%D988%

(2) https://www.tabanow.co.il /%D7%AA%D791%%D7%A2 /%D799%%D7%A8%D795%%D7%A9%D79%C%D799%%D79%D /%D7%A2%D79%E /9

(3) Amnon Ramon (ed.), 2007. The Historic Basin – Problems and Possible Solutions, The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem (Hebrew).

(4) https://www.jerusalem.muni.il /he /residents /planningandbuilding /cityplanning /masterplan /
https://bimkom.org /%D7%AA%D79%B%D7%A0%D799%%D7%AA%D79%E%D7%AA%D790%%D7%A8-%D799%%D7%A8%D795%%D7%A9%D79%C%D799%%D79%D-2000 /

تُتَرْجَمُ حاليًّا إلى خُطَطٍ تفصيليّة إنجازيّة، وَتُرْصَدُ مواردُ ماليّةٍ لإنجازها بوساطة قراراتٍ حكوميّة [1] وآخِرُها قرارُ رَقْمِ 3788، والذي رَصَدَ مَبْلغَ 350 مليون شـيقلٍ لإنجاز خُطّةٍ خمسيّةٍ 2019– 2024 في الحوض التاريخيّ.

بعد أنْ عَرَّفَتْ، وَحَدَّدَتْ دولةُ إسرائيلَ حيِّزَ الحوض التاريخيّ/ المقدّس، وهو جزءٌ من الحوض البصريّ للبلدة القديمة، صاغت إسرائيلُ خططًا منظَّمة، حتى لو لم يَكُنْ بعضُها قد أقَرَّتْها رسـميًّا مؤسَّسـاتُ التّخطيط، وبعضُها توجيهيّةٌ تُطبِّقُه جمعيّاتٌ صهيونيّةٌ، مثل جمعية إلعاد، أو سلطة تطوير القدس التابعة لبلدية القدس. هذه الخُطط وإنجازُها بوساطةِ صندوق أدواتٍ تطبيقيٍّ، تتكوَّن من عدد من الخطط والبرامجِ؛ لتشكِّلَ فسيفساءَ متكاملًا، وجزءًا من مصفوفة الضَّبط، لإنشاء سلسلة إسرائيليّة مُتّصلة لتقطيع الوجود الفِلَسْطينيّ، وتطويق البلدة القديمة. وفي الشمال، وتمَّ التخطيطُ لتجريد مئاتِ الفِلَسْطينيّين من منازلهم من الشيخ جرّاح، وإقامةِ مسـتوطناتٍ وحدائقَ مكانَهم، من خلال وادي الجوز، وخطّة تغيير طابَعِ الحيِّ، من خلال مبادرة تُسـمّى «وادي السيليكون»، ومنتزه «وادي تسوريم الوطنيّ» في مِنْطقةِ الصّوّانة على السـفوح الغربية لجبل المشـارف، وَزَرْعِ المستوطنات في الشيخ جرّاح، شـمعون الصديق، كوبانية أمّ هارون؛ تهويدِ المشهد والأنشطة في السفوح الغربيّة للطور وجبل الزيتون، مرورًا برأس العامود وبطنِ الهوى ووادِيه، مِنْطقة البستان، وادي حُلوة، ووادي ربابة، ضبطِ التّطوير، وتوطينِ مُسـتوْطِنينَ صَهيونيّين في سُـلوان، إنجازِ مشروعِ التلفريك، وتحديدِ مناطـقَ أثريّةٍ، مقابرَ، محميات طبيعية، والتي تَهْدُفُ إلى اسـتكمال الاستيلاء على القسم الجنوبيّ من الحوض البصريّ؛ ليشمل عَيْنَ اللّوزة، ويمتدُّ جنوبًا حتّى السـواحرة. هذه الخُططُ والبرامجُ هي جزءٌ من تطبيق إسـتراتيجيّة التَّغلغلِ والسّـيطرةِ على محيط البلدة القديمة، من خلال محاولاتٍ لإنشاء حلقة «خضراء» مُدْمَجَةٍ

(1) مثل قرار الحكومة الإسرائيلية رقم 4090 بتاريخ 205 , 8 , 9؛ وقرار رَقْمِ 4651 بتاريخ 2012 , 5 , 20، وقرار رقم 3799 بتاريخ: 18/ 05/ 2018. يُنظر الرابط:
https://www.gov.il /he /departments /policies /dec3788_2018#divFiles

في المستوطنات الصَّهيونية، ومشاريع السياحة الاســتيطانيّة حولها، والتي تَظْهَرُ في الحيِّزِ وتتقدَّمُ بمراحل إنجاز متفاوتة، حَصْرِ التطوير في محيط البلدة القديمة المَقْدســيّة بوساطةِ حفظِها كَمِنْطقــة مفتوحة خضراءَ صيغــتْ رؤيتُها الأولى في المُخطَّطــات الهيكليّة التي وُضِعَتْ للقدس في الفترة الانتدابيّة، وطوَّرتْها السّــلطاتُ الإسرائيليّة؛ لتشكِّلَ أداةً طَيِّعةً في مصفوفة الضبط لِعَبْرَنَةِ الحيّز [1].

الحوض البصريّ في المُخطَّطات الانتدابيّة

تُظْهِرُ مراجعةٌ سريعة للمخطّطات الهيكلية الّتي وُضِعَتْ في الفترة الانتدابيّة للقدس، أنَّ هناك مَبْدأً تخطيطيًّا متكرِّرًا في كلِّ المُخطَّطات، وهو إبقاءُ محيط البلدة القديمة وحِفظُه، خاصّة الشرقيَّ (سفوح جبل الزيتون/ المشارف حتى وادي الجوز، وادي النار/ كدرون)، مِنْطقة مفتوحة يُمْنَعُ فيها التطوَّرُ العُمرانيُّ؛ بِكَونِها جزءًا من الحوض البصريّ- المقدَّس [2]. تطبيق هذا المبدأ التّخطيطيّ الحيّزيّ ينطلق من مفهوم جماليٍّ، ومن مفهوم عقائديٍّ، يعتمدُ على تناقُلِ رواية/ معتقد دينيٍّ أنَّ المســيح/ المهديّ المنتظر ربَّما ســيعود، ويأتي إلى القدس من الشرق. تطبيق هذا المعتقد في المبنــى الفيزيائيّ المحيط بالبلدة القديمة، كان جزءًا من إنتاج تخطيطيٍّ توجيهيٍّ يضبطُ التطوير في محيط البلدة القديمة، خاصَّةً من الشرق، حيث إنَّ وُجهة/ ميــلان البلدة القديمة هي باتِّجاه الجنوب الشرقيِّ تَنْظُــرُ وَتُشْرِفُ باتِّجاه جبل الزيتون/ المشارف وجبل المكبر/ أرمون هنتسيف جنوباً.

---

(1) فيلكوف شيرا ونيتسان- شــيفتمن الونة، 2016. فرصة تاريخية: مشهد، رسمية ومنافسة على إقامة الحديقة الوطنية حول سور القدس، 1967 – 1969. كتيدرا، 163، صفحة: 163-190 (بالعبرية).
https://www.ybz.org.il /_Uploads /dbsAttachedFiles /6_Wilkof-Shaftan_Cat-163_LR.pdf

(2) Kimhi Israel. 2009. The History of Planning Jerusalem 19182008-. In: Meiron Eyal and Bar Doron, (eds). 2009. Planning and Conserving: The Challenge of an Ancient City. Yad Izhak Ben-Zvi. Jerusalem. Pp. 14.31-

بدأتْ مع احتلال القدسِ، وتَعْيينِ الحاكم العسكريّ الانتدابيّ رونالد ستورس، حِقْبةٌ جديدةٌ في ضبطِ تطوُّر القدس بموجب تخطيطٍ رسميٍّ. أوّل قرارات ستورس التّخطيطيّ كان تحديدَ حزامٍ أخضرَ حول السور من الخارج. ودعا المهندس وليام مكلين لإعداد مُخطَّطٍ للقدس 2018م. هذا المُخطَّط التوجيهيّ وَضَعَ ضوابطَ على تطوير محيط البلدة القديمة، وخاصّة من الجهة الشرقيّة والجنوبيّة الشرقيّة، وَوَضَعَ التوجيهاتِ التّخطيطيّةَ التالية:

- تحظى البلدةُ القديمة بالحفاظ عليها؛ لأنّها نواةٌ تُمْلي الطابَعَ الدينيّ والفريد للقدس. وَوِفْقًا للخطّة، لن يكون البناءُ في البلدة القديمة مُمْكنًا إلّا بتصريح خاصٍّ.
- المساحاتُ المحاذية لسور البلدة القديمة تُخَصَّصُ لساحاتٍ عامّةٍ مفتوحة، وكلّ المباني المحاذية للسور تُزال.
- المِنْطقةُ الشماليّة الشرقيّة للبلدة القديمة، وتشمل جبل الزيتون/ المشارف، تُحْسَبُ كَمِساحاتٍ ذاتِ تميُّزٍ دينيٍّ وروحانيّ، ويمكن البناءُ فيها بموجب إِذْنٍ خاصٍّ فقط.
- المِنْطقة غربيُّ البلدة القديمة، وعلى امتداد طريقِ يافا، تُشكِّلُ هدفًا لتطوير مستقبليٍّ عصريٍّ/ حداثيٍّ.

هذا المُخطَّط واجَهَ انتقاداتٍ؛ لكونِه لم يدخل في تفاصيل تطبيقِه؛ ما دَفَعَ المهندسَ باتريك غدس 2019، لإعداد مخطَّطٍ معدَّل، ولاحقًا تمَّ من قِبَل باتريك غدس وتشارلز اشبي عام 1922م إعدادُ مُخطَّطٍ أكثرَ تفصيلًا، وَتَبِعَهُ مخطَّطٌ تعديليٌّ تطويريٌّ أَعَدَّهُ للقدس المهندسُ كليفورد هوليدي، تمَّ إقرارُه عام 1930 (انظر شكل1).

شَكَّل هذانِ المخططّانِ مَصْدرَ صياغةٍ لِما يطلق عليه الحوض المقدَّس/ التاريخيّ، استمرارًا لِما سبقهما، وما لَحِقَهُما من المخطَّطات الهيكليّة. تبَّنت هذه المخطَّطات موقفَ غدس الذي قَدَّسَ مكانةَ البلدة القديمة كمركزٍ ذي أهمِّيَّةٍ روحانيّة وتاريخيّة، ولذلك

فهي المكان الذي يستحقُّ الحفاظَ عليه، وأضافَ إليها المساحة غير المبنيَّة المحيطة بالبلدة القديمة. وإنَّ المخطَّطَ الهيكليَّ الذي أَعَدَّه للقدس الأردنية/ الشرقية المهندسُ هنري كندل[1]، بعدَ تقسيمها، وتمَّ تبنّيهِ من أمانة القدس العربية، فقد حافظت على مبدأِ إبقاء الحزام الأخضر حول البلدة القديمة، ولكنْ قَلَّصَتِ الحوضَ البصريَّ إلى مِنْطقة وادي النار، وسمحت بالتطوير السّكنيّ على السفوح الغربيّة لجبل الزيتون/ المشارف، بما في ذلك في جنوب البلدة القديمة/ مِنْطقة سُلوان، الثوريّ ورأس العامود.

أصبحتِ المخطّطات الهيكليّةُ التي أُعِدَّتْ للقدس، خلالَ فترة الانتداب، مصدرَ إيحاءٍ لتخطيط البلدة القديمة ومحيطها، وتمَّ ضبطُ التطوير بموجبهم، خاصّة في الأحياء الحديثة التي نشأتْ، وتطوَّرت خارج السور من الجهة الشماليّة والغربيّة، بينما بقيت القرى من الجهة الجنوبيّة تتطوَّرُ بشكلٍ عُضوٍ، ودونَ تخطيط مبادِرٍ ملزمٍ. هذا التطوّر القرويّ أصبح جزءًا من الحوض البصريّ. أمّا الجزءُ المدينيّ (حي الشيخ جراح، محيط شارع صلاح الدين، المصرارة، شارع يافا، محيط مقبرة مأمن الله، والبقعة، ويمين موشى (بجانب وادي السلطان)، محطّة سِكَّة الحديد، والثوريّ، هو في ظهير الحوض البصريّ، وفقط أطرافه الجنوبيّة والشرقيّة المحاذية للبلدة القديمة، هي جزءٌ من الحوض البصريّ.

(1) Kendall Henry. 1948. Jerusalem City Plan. Her Majesty›s Stationery. Landon.

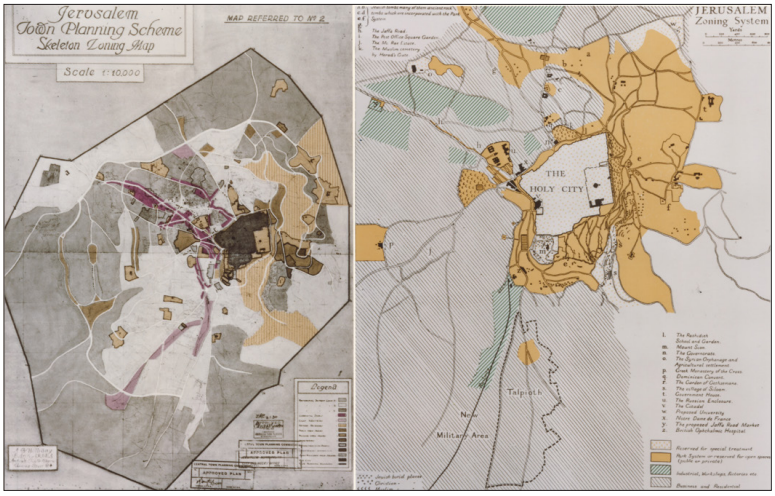

شـكل رَقم 1: مخطط باتريك غدس وتشارلز اشبي 1922 (من اليمين)، ومخطط كليفورد هوليدي 1930 (من الشمال) وتظهر بهما المحدَّدات على البناء والتطوير حول البلدة القديمة، وتشمل الحوضَ البصريَّ من جهتها الشرقيّة والجنوبيّة

اسـتخدام الموروثِ الانتدابيّ لتثبيت المخطّطات الإسـرائيليّة على الحوض البصريّ

وَضَعَ التّخطيطُ الانتدابيُّ الأُسَـسَ لسياسـات التخطيط الإسرائيليّة، بما في ذلك في القدس، وفي محيط البلـدة القديمة، وحوضِها البصريّ. بـادرتْ إسرائيل، بعد احتلال القـدس الشرقيّة، وضَمِّها للقـدس الغربيّة، وإلغاءِ بلديّة القـدس العربيّة عام 1967م، إلى إعداد مخطَّطٍ لمحيـط البلدة القديمة يُعَدِّلُ المخطَّطَ الهيـكليَّ الأردنيَّ، يحلُّ محلَّه ويُجدِّدُ سياسـاتِ التخطيط، واسـتخدامات الأراضي، خاصّةً في محيط الحوض البصريّ (انظر شكل 2). مقارنةُ المخطَّطاتِ، الانتدابيّة، الأردنيّ والإسرائيليّ، تُظْهِرُ التّشابهَ بين منطلقات المخطَّطات الهيكليّة الانتدابيّة والإسرائيليّة، بينما المخطَّط الأردنيُّ قلَّصَ الضوابطَ في محيط الحوض البصريِّ، ومَكَّنَ التطويرَ؛ مع أنّه حافظَ على مبدأ حِفْظِ حزامٍ أخضرَ حول السور في الوادي المحاذي من الشرق والغرب.

بعد احتلالِ القدس الأردنيّة، والتي شَـمَلَتْ حوالي ستَّةِ آلاف دونم، شملتِ البلدة

القديمــةَ ومحيطَها، باشرتْ بلديّــة القدس، ووزارة الداخليّــة الإسرائيليّة بإعداد مُخطَّطٍ هيكليٍّ محلّيٍّ عام 1970م؛ ليضبط اســتخداماتِ الأراضي، ويَحِدّ من التطوير الفِلَسْطينيِّ، بحيِّزٍ بلغتْ مســاحتُه حوالي 10800 دونمٍ شَــمَلَ البلدة القديمة ومحيطَها. هذا المخطَّط صــودِقَ عليه للتنفيذ عــام 1976م، وَحَلَّ مَحَلَّ كلِّ المخطّطات الســابقة [1] التي تتناقض والاســتخداماتِ المقترحةَ به، وأُبْقِيَ على المُخطَّط الهيكليِّ للقدس (تعديل) 1943م، رَقم 688 الذي يتلاءم وأهدافَ مخطَّطِ عم/ 9. وَضَعَ مُخطَّطُ عم/ 9 أُسُسَ الضبطِ على التطوير والبناء في الحوض البصريّ، واسْتُخْدِمَ كمرَكَّبٍ بمصفوفة الضبطِ، وذلك بتحديد مناطقَ محفوظةٍ يمنع التطوير الفِلَسْطينيَّ. مازال مخطَّطُ عم/ 9 ساريَ المفعولِ على مِنْطقة الحوض البصريّ رَغْمَ مرورِ أكثرَ من 46 عاماً على إقرارٍ؛ لِتَبنّيهِ وإقرارِهِ من السّلطات الإسرائيليّة. خلال هذه الفترة منذ تصديق المخطّطات الانتدابيّة والإسرائيليّة جَرَتْ تغييراتٌ، وَحَدَثَتْ تطوُّراتٌ في الحوض البصريِّ، لكنَّ هذه المخطّطاتِ تتجاهلُه وتتعامل معًا بأنَّها غير مرئيّة، باســتثناء مُخطَّطات تفصيليّةٍ تسعى إلى تغيير مخطط عم/ 9، وبالأساس مخطّطات تفصيليّة تسعى لتهويدِ الحيِّزِ؛ تطبيقًا لإستراتيجيّة التَّغلغلِ وإحاطة/ تطويق البلدة القديمة وتقطيع الوجود الفِلَسْــطينيّ في محيط البلدة القديمة، بعد أنْ طُبِّقَتْ هذه الإستراتيجيّاتُ بمحيط القدس، وتطبيــقِ مصفوفةِ الضبطِ على المســتوى الإقليميّ والمدينــيّ، وحاليًّا يجري في الحوض البصري، بعد اســتخدامِ موروث التخطيط الحيزيّ، ونظام الأراضي الانتدابيّ، ومواءمته للأهداف الإسرائيليّة.

(1) https://apps.land.gov.il /IturTabotData /takanonim /jerus /1008681.pdf

شـــكل 2: المخطّط الهيكليّ الأردنيّ للقدس 1960 (من الشمال) والمخطَّط الهيكليّ الإسرائيليّ عم/ 9 الذي صودِقَ عليه رسميًّا 1976، وشمل البلدة القديمة ومحيطها بما في ذلك الحوض البصري (من اليمين)

مركبات مصفوفة الضبط المستخدمة في الحوض البصريّ

تقـــوم الحكومة الإسرائيليّة، ســـلطات البلديّة، ومؤسَّســـاتٌ يهوديّةٌ صهيونيّةٌ شـــبهُ رسميّةٍ، وجمعيّاتٌ صهيونيّةٌ مُتديِّنةٌ بتقاســـم الأدوار؛ لتطبيق مصفوفة الضبط التي تُحَقِّقُ الروايـــة، العقيدةَ، والسِّـــيادةَ الصهيونيّةَ عـــلى المكان في البلدة القديمـــة، وحوضِها، كما صاغَتْها وَطَبَّقَتْها بِمُجْمل الأراضي الفِلَسْـــطينيّة المحتلّة، وفي محيط القدس الشرقيّة، بما في ذلك في البلدة القديمة، وحوضِها البـــصريّ، آخِذينَ بعين الاعتبار خصوصيَّةَ كلِّ مكان لمواءمة مُركَّبات مصفوفة الضبطِ مع حال المكان، وَوَضْعَ مُبرّراتٍ قِيَميَّةٍ، أخلاقيّة، دينيّة، أثريّةٍ، وظائفيّة، اقتصاديّة، وجيوسياســـيّة؛ لبسط السَّيطرة باستخدام سياساتٍ، وأدواتِ التخطيط الحيزيّ الرسميّ. وفيما يلي نحاول تلخيصَ هذه المركّبات.

1. مكانةُ الأراضي والمكان

صاغتْ إسرائيل الرســـميّة، وقلبُها العميقُ، وَفُقَهاء الفكرِ والقانون بها، لغةً وخطابًا، وضعت مكانة للأراضي الفِلَسْـــطينيّة في القدس على أنَّها ليســـت محتلّـــةً، بل هي مُدارةٌ،

ولاحقًا تمَّ ضمُّ جـزءٍ منها قسريًّا تحت السـيادة الإسرائيلية، وأقرَّتهـا بموجب قوانين أسـاسٍ إسرائيلية، مثل قانون القدس 1980م، وقانون القوميّـة 2018م. بموجب هذه القوانين أصبح المَقدسيُّ الفِلَسْـطينيُّ هو مؤقَّتًا؛ حسبَ نظام الأراضي، ومكانةِ الشخص. أمّا الشـعب اليهـوديّ والأفرادُ المُنْتَمونَ إليـه فَهُمُ الثابتون، بعـد أنْ عادوا إلى الأرض المقدَّسة حَسَـبَ روايتِهم، ولهم بها حقٌّ مُكتَسَـبٌ. هذا الحقُّ منطلِقٌ من القَداسة الدينيّة التوراتيّة، وحاليًّا بُعِثوا؛ ليسـتأنفوا السـيطرة عليها، وتطبيق حقِّ امتلاكها، اسـتيطانها، إدارتها لصالـح الإسرائيليين، والتعامل مع الوجود الفِلَسْـطينيّ الأصليِّ، كَمُعوّقٍ يجب إدارةُ تحجيمـه، ولربَّما إزالتُـه، وتقليصُ الصراع معه. هذه المكانـة للأراضي في الوعي، السلوك والسياسـات المطبَّقة تُرْجِمَتْ إلى خططٍ وبرامجِ عَمَلٍ منطلقةٍ من مفهوم الحماية، وتوفير الأمن الشّـخصيِّ والجمعيِّ بمفهومه الواسـع لـدى الإسرائيليّين. خلقت هذه المكانة ازدواجيّات، ثنائيّـات، وتناقضات في مرجعيّات التعامل مع الواقع المُتغِّير والمُغَيَّرِ بمبادرات إسرائيلية، كذلك في القدس عامّة، والبلدة القديمة، وحوضِها البصريّ بشكل خاصٍّ، لتشـكيل وعيٍ جمعيٍّ يهوديٍّ وهندسـتِه صهيونيًّا وعبرانيًّا بأنَّ إسرائيل «صاحبة البيت» على المكان، وأنَّ الفِلَسْـطينيّين المَقْدِسيّين هم سـاكنون غير مَحْمِيّينَ إلّا بما يتوافق والمصلحةَ الإسرائيليّةَ. شـملت هذه المبادراتُ تطبيقَ سـلطة الدولة وعُنفِها، وتوظيف المؤسّسات الصّهيونيّة العالميّة والمحلّيّة، مؤسّسات المجتمع المدنيّ، والقطاع الخاصّ لخدمة أهداف الدولة ومشروعها الاسـتيطانيّ. ترجمة هذه المكانة من وجهة نظرٍ إسرائيليّة كانت برفضِ إسرائيلَ تطبيق قـراراتٍ دوليّة ومواثيق أممية [1] ؛ رفض إقرار اصطلاحاتٍ ترتبط بالاحتلال والاسـتعمار ونَحَتَتْ قاموس اصطلاحات، لغـةً وخطابًا، حتّى تخطيطيًّا، إمّا «حيادي» أو مُسخَّر ليخدمَ مشروعَها المُكوَّنَ والمُشَكَّلَ ليُحكِمَ السيطرةَ على واقع الأراضي الفِلَسْطينيّة ومستقبلِها، والمكانِ في الحوض البصريّ المَقْدسيّ. كجزء من السيطرة، وفرضِ

(1) على سبيل رفض تطبيق قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 446 الصادر يوم 22 ,3 ,1979، وقرار رقم 2334 الصادر يوم 23 ,12 ,2016، والذي يؤكد أنّ قرار سـابقه ولاحقه بأن المسـتوطنات الإسرائيلية المقامة في الأراضي الفلسطينية بما في ذلك القدس الشرقية هي غير قانونية وغير شرعية.

مرجعيّات، ومؤسَّسات إسرائيليّة يضطرُّ أنْ يتعامل معها الفِلَسْطينيّون المَقْدسيّون، مثل نظامِ المحاكم، نظامِ الأراضي ومؤسَّسات التخطيطِ الحيزيّ المُقَوْنَنِ، والذي لا يوجد به أيُّ تمثيلٍ وحضور فِلَسْطينيٍّ مَقْدسيٍّ، ولا يمثِّل المصلحة الفِلَسْطينيّة، ولا يأخذ بعين الاعتبار، في غالبِ الأمر، الرواية والأعرافَ الفِلَسْطينيّةَ المحلّيّة السّائدةَ. هكذا فإنَّ مكانة الأراضي منطلقةٌ من الرواية، والعقيدة الدينيّة القوميّة اليهوديّة الصَّهيونيّة، بموجب هذه المكانة تمنح المكانة للمكان بوضعيّة تحت صفةِ التقديس وحاله؛ لامتلاكه.

2. ثنائيّة مكانة المكان والإنسان

كجزءٍ من تغيير المكانة، كان فصلٌ بين مكانة الأرض/ الأرض ومكانة الإنسان، بِصفةِ أنَّ المكان/ الأرض «ثابتة» والإنسان/ السكّان «متبدل/ متغير». شملت ازدواجيّة/ ثنائية المكانة والفصل بين المكان والإنسان، منْح حقِّ المواطنة الإسرائيليّة والإقامة الكاملة لكلِّ المستوطنين الإسرائيليّين الذي يسكنون في أراضي الفِلَسْطينيّة المحتلَّة والتي ضُمَّتْ وأصبحتْ تخضع لسيادة دولة إسرائيلَ الرسميّةِ بقرارها المخالف للشرعيّة الأمميّة والمواثيق والقوانين الدوليّة. بينما أبقتْ إسرائيل الفِلَسْطينيّين المَقْدسيّين دون تحديدِ مواطنةٍ، بل منحتهم مكانةَ «مقيم ثابت» في وطنهم رغمَ أنَّهم سكّانٌ أصليّونَ ومحتَلّونَ بموجب القانون والمواثيق الدوليَّة. المكانة الممنوحة رسميًّا للمَقْدسيّين الفِلَسْطينيّين، تخلق تميُّزًا بنيويًّا، مؤسّساتيًّا ورسميًّا بينهم وبين الإسرائيليّين الذين أصبحوا يشاطرونهم المكانَ نفسَه، والأرضَ قسرًا. كما أنَّ على الغالب هذه المكانةَ للإنسان الفِلَسْطينيّ تضعه في حال مستهلكٍ للحيِّز، وغير مُنْتجٍ له، غير مشاركٍ ومتشاركٍ في إنتاج القرار السياسيّ وصَوْغِه؛ لأنَّه لا يمتلك حقَّ الانتخاب القُطْريّ، نتيجةً لمكانته المشوهة والمجتزأة. كما أن هذه المكانة تقلص امتلاكه للحيز العام ومشاركته في إنتاجه وإدارته. إضافةً لذلك، فإنَّ هذه المكانة للإنسان تهدِّدُ حتّى امتلاكه للأراضي الخاصّة، إذا ما تمَّ تعريفُه بموجب حارس أملاك الغائبين بأنّه غائب، أو غائب حاضر، أو أنَّه لا يُثْبت لدولة إسرائيل بأنَّ مركز حياته في القدس. تحديدُ مكانة الإنسان الفِلَسْطينيِّ لا يتمُّ بموجب حقٍّ مُكْتَسَبٍ

للإنسان الفِلَسْطينيِّ في أرضه، بل هو مشروط، بشروط تَصوغُها الدولةُ بموجب قوانينَ تفرِّق وتُميِّزُ بين الإسرائيلي/ اليهوديِّ وبين الفِلَسْطينيّ المَقْدسيّ، مما يهدّد مكانة حقّه بامتلاك المكان/ الأرض. هذه المكانة تُمكِّن السلطات الإسرائيليّة من مصادرة أراضٍ وأملاكٍ للمَقْدسيّين، وتحول دون منحهم رُخَصَ بناءٍ، مما يدفعهم للبناء دون ترخيص؛ ما يهدِّدهم بغرامات عالية، وتطبيق عقاب الهدم.

من تَبِعاتِ فصلٍ بين مكانة الإنسان والمكان، تطبيقُ نظام أراضٍ، بموجبه تمَّ تقسيم الأراضي/ المكان إلى تقسيمات حسب نظام ملكية الأراضي، بموجبه امتلكت الدولة رقبة معظم الأراضي الفِلَسْطينيّة المَقْدسيّة العامّة، والتي سُجِّلتْ باسْمِ الدولة، وشملت أراضي الموات، المتروكة والأميريّة حَسْبَ نظام الأراضي العثمانيّ، الانتدابي البريطانيّ، الأردنيّ ودخول إسرائيل في نعل هذه الأنظمة، وسيطرتها على الأرض وتخصيصها لِمَنْ تشاء ليخدم مصلحتها، ويُحقِّقَ برامجها ومخطّطاتِها. سيطرة إسرائيل و/ أو بلديّة القدس على الأرض شَكَّلَ أساسًا لتسهيل عمليّة تخطيط الحيِّز، وإقامة مستوطنات إسرائيليةٍ صهيونيّة بها للتَّغلغل في فضاء المجتمع الفِلَسْطينيّ المَقْدسيّ ليتغلغلَ به، يطوِّقه ويُشرذمه. استمرارُ السَّيطرة الإسرائيليّة هذه على البلدة القديمة، وحوضِها البصري، تُمكِّنُ مِن استمرارِ تخطيط التغيير الديموغرافي لصالح الإسرائيليين، وإنجازِه، وهيمنةِ الرّواية والحضور الصَّهيونيّ في الحيّز/ المكان.

3. ذبذبة في تحديد حدود الحوض البصريّ

تظهر مراجعةٌ سريعة للقرارات الحكوميّة والبلديّة، الخرائط، المخطَّطات الهيكليّة والقطاعيّة والتقارير الأثرية، وحتّى اقتراحات تسوية الصّراع على القدس بها، أنَّ هناك تذبذبًا، واختلافًا، وعدمَ توافُقٍ بتحديد حدود الحوض البصريّ- المُقدَّس/ التاريخيّ. هذه الحدود التي تَصِفُ الحوض البصريَّ تترنَّحُ وتتنوع بين أولئك الذين يُشيرون إلى الحدود، ويجب ألا تتجاوز حدودَ السّور والمحيط المتاخم له، وبين حدٍّ يربط رؤوسَ الجبال، والتِّلال المطلَّة على البلدة القديمة، وتُشرف عليها، أو ما تُعْرف بخطِّ انقلاب المياه السّطحيّة. هذا التَّذبذُبُ ليس عفويًّا، أو إجرائيًّا، بل تتعامل معه مصفوفة الضّبط المعمول

بها في القدس الشّرقيّة عامّة، وفي محيط الحــوض البصريّ، لإبقاء حالة ضبابيّة تُمَكِّنُها من طرح بدائل حدوديّة تمارس بها سياســات الضبط والممانعة على التطوير الفِلَسْطينيّ بحُجَّةِ أنَّ المِنْطقة أو قطعة الأرض المطلوب التطوير بها تقع بمجال الحوض البصريّ.

كما أنَّ إبقاءَ الحدود مفتوحةٌ وراشحةٌ تمنح القوَّة للمسيطر (الحكومة الإسرائيليّة وبلديّة القدس وجمعيّات صهيونيّة في ســياقنا) حرّيّة الحركة وعدم الالتــزام بمعاييرَ واضحةٍ، بل تعمل بموجب مبدأ الكيل بمكيالَيْنِ، أو فرضِ أمزجَةٍ شخصيّة، أو قطاعيّة في اتِّخاذ القرارات وصياغتِها. تشمل الذَّبذبة في تحديد مجال الحوض البصريّ على الأقلِّ بثلاثة أبعاد: 1. تحديد حدود الجغرافيا للمكان والوظائفيّة التي يُؤدّيها، وملْكيّة الأرض بها، 2. الديموغرافيا والذي يشمل التحوُّلات والاتِّجاهات الدّيموغرافيّة الإثنيّة/ القوميّة والثقافيّة. 3. الإرخيئلوجيا، والتي تشمل الحفريّات والاكتشافات الأثريّة المعتمدة والمستخدمة؛ لتثبيت رواية التقديس والتخصيص، دَمْج بين هذه الأبعاد الثلاثة في ظلِّ اســتخدام قــوَّة الدولة وعُنفِها، يُمكِّنُ ســلطاتِها الحكومية والبلدية من تحديد حدود متنوِّعة للحوض البصريّ، ووضع الضوابط على التطوير في الحيِّز الجغرافيّ الفِلَسْــطينيّ، ونهج سياســات ســكّانيّة وإســكانيّة تقلّص الديموغرافيا الفِلَسْطينيّة، والســيطرة على الأرض/ المكان والرواية بوساطة الإعلان على الموقع كمكان أثريٍّ مقدَّس، أو محفوظ يمنع التطوير به.

4. المناطق الأثريّة والمَحْميّات الطبيعيّة

المناطق الأثريّةُ والمَحْميّــات الطبيعيّة، والمناطق الخضراء غير محايدة في محيط الحوض البصري، بل هي وســائلُ مُجَنَّدةٌ في خدمة مشروع الكولونياليّة [1] الســيطرة الإسرائيليّة المطَبّق لمصفوفة الضّبط، وتســتخدم أدوات في إنجاز إســتراتيجيات الإحاطة، التَّقطيع،

(1) Bluwstein Jevgeniy.2021. Colonizing landscapes /landscaping colonies: from a global history of landscapism to the contemporary landscape approach in nature conservation. Journal of Political Ecology 28(1), file:// /C: /Users /user /Downloads / Colonizing_landscapeslandscaping_colonies_from_a_g/.20(1).pdf

التغلغل والإحلال في حيِّز الحوض البصريّ [1]. كَتَبَ في هذا السياق الجعبة (2009)[2] «وفي الحقيقة فإنَّ ما يُسمّى «الاستكشاف الأثريّ» الذي يدور الآن ما هو إلّا جزءٌ لا يتجزّأ من حملة سياسية واسعة النطاق تجتاح مِنْطقة القدس ضمن مخطَّط وُضِعَ مسبقًا، ومن أعلى المستويات، وبشكل علني، إذ يتركَّز النشاط «الأثريّ» في المنطقة التي تُسمّى «الحوض المقدّس»، أو «الحوض التاريخي»، وهي المِنْطقة التي تضمُّ البلدة القديمة ومحيطها، إضافةً إلى السفوح الغربية لجبل الزيتون، وسلوان، ووادي حلوة، وحي البستان، ووادي الربابة، وتمتد إلى الشيخ جراح شمالاً. وقد طالبت إسرائيل مراراً بالسيطرة الكاملة والحصرية على هذه المِنطقة ضمنَ مفاوضات الحلِّ النهائيّ».

يُشكِّل الصراع على الآثارِ جزءًا مركزيًّا من الصِّراع على الرّواية الصائغة لامتلاك المكان، وَتَبَعِيَّتِه؛ لذلك نشهدُ نشاطًا متزايدًا. كان لعلماء الآثار الأوائل الذين جاؤوا للتَّنقيب، في القدس، دافعٌ دينيٌّ، للكشف عن مدينة العصور التوراتيّة، بدْءًا من عالِمِ الآثار البريطانيّ تشارلز وارن، الذي حَفَرَ مهاويَ عموديّةً بالقرب من الحرم القُدسيّ، وفي قرية سُلوان في منتصف القرن 19، ومرورًا بعلماء الآثار الفرنسيّين، والأمريكيّين، والبريطانيّين، وغيرهم. بالنسبة لهم، فَعِلْمُ الآثار هو وسيلةٌ لكشف القدس الحقيقيّة. في المقابل، لطالما عَدَّ الفِلَسْطينيّون الأبحاثَ الأثريّة الغربيّة ذراعًا إمبرياليّةً تهدف إلى تقويض الوجود الإسلاميّ في القدس عامّة، والحرم الشريف والحوض البصري خاصّة.

(1) Stokes Jole, 2022. «Silence,» Heritage, and Sumud in Silwan, East Jerusalem, Jerusalem Quarterly 91, pp. 105 – 120.

Braverman Irus. 2019. Nof Kdumim: Remarking the ancient landscape in East Jerusalem›s national parks. Environment and Planning E: Nature and Space 4, (1). pp. 109134–. https://doi.org /10 , 1177251484861988594 /

(2) الجعبة، نظمي، 2009؛ القدس بين الاستيطان والحفريات، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 20، العدد 79 (صيف 2009)، ص 39. يُنظر الرابط:

https://www.palestine-studies.org /sites /default /files /mdf-articles /10395.pdf

منــذُ احتلالِ إسرائيل للحوض التاريخيّ في عام 1967م، احتلَّ علمُ الآثار مكانًا مُهمًّا في بناء الهُوِيّة اليهودية الإسرائيليّة. وفي هذا السياق، فإنَّ باحثَ الآثار مايكل آفي يونا أشار إلى أنَّ غزو/ تحرير القدس كان فرصةً لإثبات العلاقة التاريخيّة للشعب اليهوديّ بالمدينة. ابتداءً من منتصف 1990م، انتقل علم الآثار نحو الإســتراتيجيّة المركزيّة لوضع السيطرة الإسرائيليّة على الحــوض التاريخيّ. وأوَّلُ مَنْ حدَّدَ هذا الإمــكانَ كانت جمعيّةَ إلعاد [1]، التي استقرَّت في قرية سُلوان. بدعم مصادر تمويل سخيّة من التبرُّعات الخاصّة، والدَّعم الحكوميّ، تســعى جمعيّة إلعاد جاهدة لتعزيز قصَّةِ الملك داود، ورواية العودة إلى مسقط رأس الشعب اليهوديّ في القدس.

وتقــوم جمعيّةُ إلعاد، بدعم حكوميٍّ وبلديٍّ، باســتقطاب مئــات الآلاف من الزّوّار -الإسرائيليّين والسّــيّاح- الذين يأتــون إلى الموقع كلَّ عامٍ، وجَذْبِهــا، يتعرَّضون لسَرْدٍ تاريخيّ ضيِّق موجَّهٍ، متجاهلين آلافَ الســنين من الشعوب والثقافات المتنوّعة، وخاصّة الحضارة العربيّة الإســلاميّة، التي عاشــت، وبَنَتْ في القدس، وتركتْ بَصْماتِها على علم الآثــار، وطبقاتِ تشــكيل المدينة. إنَّ القيمة التــي توجِّه تطويرَ مدينــة داود وعَرْضِها، والحوض التاريخيّ قد صرَّحَ بها رئيس بلديّة القدس نيّر بركات بشكل لا لَبْسَ فيه: «أُريد أنْ أسمح لليهود وغير اليهود بإعادة إنشاء هذه التجربة. أيُّ شخص يريد أنْ يغطس (في بركة ســلوان)، ويصعد إلى الطابق العلويّ نحو تجرِبة جبل الهيكل، من يفعل ذلك يعرف بالضبط من يملك البيت في هذه المدينة» [2].

(1) جمعيّة إلعاد: منظَّمة يهوديّة صهيونيّة يمينيّة خاصّة غير ربحيّة. بدأت نشاطها في أواخر سنوات 1980، كمنظمة هدفُها الاستيلاء على منازل السّكّان الفِلَسْــطينيّين في سلوان وتوطين اليهود هناك. في البداية، تمَّ قبول الجمعيّة من قبل الجمهور والسّياســيّين الإسرائيليّين (بما في ذلك اليمين) كمجموعة هامشــيّة خطيرة. بعد ذلك، تحوَّلت إلعاد إلى دافع التطوير الأثريّ والسياحيّ في الحوض البصري، وخاصّة منطقة سلوان والبلدة القديمة. وفي عام 2002 تولت إدارة «مدينة داود». منذ ذلك الحين، تقوم «إلعاد» بتطوير الموقع من خلال التنقيب الأثري بدعم ماليّ حكوميّ وصهيونيّ سخيّ.

(2) حسون نير، أصحاب البيت في القدس مرة أخرى يحفرون. جريدة هآرتس 2017, 02, 20 (بالعبرية).

لإنجاز مصفوفة الضّبط بوساطة استخدامِ الإعلان عن المواقع الأثريّة، وممارسة «الاحتلال، والاحتلال الأخضر»، متمثِّلًا بالإعلان عن مناطق مقابرَ، محميّات طبيعيّة، وجنائن وطنيّة/ قوميّة، وتقوم مؤسَّسات إسرائيلَ بالعمل بالتَّنسيق، وبتقاسُمِ الأدوار وتكامُلِها من أجل تحقيق إستراتيجيات الإحاطة، التقطيع، التَّغلغل، والإحلال في حيِّز الحوض البصري. هذه المؤسَّسات تشمل على رأسها الحكومة الإسرائيلية مُمثَّلة بوزاراتها المختلفة، بلدية القدس، جمعية إلعاد، سلطة الآثار، سلطة حماية الطبيعة والحدائق الوطنيّة، سلطة تطوير القدس، سلطة أراضي إسرائيلَ، وصندوق حائط البراق/ المبكى.

يُمكن تلخيصُ تقسيم النَّشاط الإسرائيليّ في الحوض البصريّ/ التاريخيّ إلى أربع نقاطٍ محوريّة رئيسة: 1. إنجاز حفريّاتٍ ومشاريعَ أثريّةٍ حول جبل الحَرَمِ القُدسيّ الشّريف، بما في ذلك حفرُ الأنفاق تحت الحيِّ الإسلاميّ، والبناء في ساحة الحائط الغربيّ، وتطوير موقع «مركز ديفيدسون» السّياحيّ في سُلوان جنوب الحَرَمِ القُدسيّ. 2. نشاط سياحيّ- أثريّ- استيطانيّ واسع النِّطاق في حيِّ سُلوان جنوب البلدة القديمة. إلى جانب الجهود التي لا نهاية لها لتوسيع مستوطنة سُلوان فوق الأرض وتحتها، تشارك المنظَّمة مع السلطات الإسرائيليّة في تطوير المراكز السياحيّة والتجاريّة، والتركيز المفرط على الرّواية اليهوديّة، وتغيّر المعالِمِ والإعلان عن مناطق محميّات طبيعيّة وحدائق وطنية. يتم حفر الأنفاق باستمرار في سلوان تحت منازل القرية، ومن المخطط بناء محطة تلفريك هناك، كما يتم ضم المناطق المفتوحة في الحيّ إلى الموقع الأثريّ. 3. إلى جانب نشاطاتِها الأثريّة السياحيّة، تواصل إلعاد جهودها لشراء المنازل والاستيلاء على مناطق إضافيَّة في القرية. 4. إعاقة تسوية الأراضي، إعاقة تخطيط فِلَسْطينيّ، وضبط سكّانيّ، وهدم مبانٍ، كما سنوضِّح لاحقًا.

5. تسوية الاراضي وتسجيلها

كجزءٍ من مصفوفةِ الضّبط، وتمكينِ تطبيقِ إستراتيجيّات الإحاطة، التقطيع، التَّغلغل، والإحلال في حيِّزِ الحوض البصريّ، فقدْ تمَّ استخدامُ نظام الأراضي المركزيّ،

والذي يسعى إلى تهويد الأرضِ، من خلال إعاقة تسويتها بوساطةِ تحديد حدودِ المِلْكيّة، وتسجيلها على أصحابها [1]. يجب أنْ نُشير إلى أنَّ عمليّاتِ تسوية الأراضي، وتسجيلَها، في القدس الشرقيّة عامَّةً، وفي محيطِ الحوض البصري خاصَّةً، معقَّدةٌ للغاية، وتتألَّفُ من مكوِّناتٍ مختلفة. ويرجع بعض هذه التعقيدات إلى تعقيد الصراع الجيوسياسيّ عليه. يُضاف إلى ذلك المكانةُ القانونيّة الفريدة للمَقْدسيّين الفِلَسْطينيّين (مقيمون ثابتون، غائبون حاضرون، إثبات مركز حياة). ويرتبط تعقيد إضافيٌّ بالتسلسل الزّمنيِّ لِنُظُمِ الأراضي القائمة (العثمانيّ، الانتدابيّ، الأردنيّ، الإسرائيليّ) التي لا تزال تَسْتَخْدِمُها، بشكل انتقائيّ مختلفُ المجتمعاتِ المحلّيّة في القدس الشرقيّة، من ناحية (قانون الأعراف)، والحكومةُ الإسرائيليّة (القانون الرسميّ)، التي تهدف إلى فصل الأرض عن أصحابها الفِلَسْطينيّين، وتخصيصِ وضعٍ مؤقَّتٍ وليس دائمًا لهم، لتسهيل مصادرة الأرض بأيَّةِ وسيلة كانت من ناحية أخرى. إضافةً إلى ذلك، فإنَّ القوانين والأنظمةَ الإسرائيليّةَ المتعلِّقة بتسوية الأراضي، وتسجيلِها، وإعادة تكييفها، والتَّخطيط لها، وإدارتها، هي اليوم مركزيّةٌ ومعقَّدةٌ بشكل عامٍّ، ويُضاعفُها التعقيد الناجمُ عن الصراع القوميّ والوطنيّ على القدس. حاليًّا، فإنَّ معظم الأراضي في حيِّزِ الحوض البصريّ المَقْدسيِّ، غيرُ مسجَّلةٍ بموجب تسوية رسميّةٍ بموجب القانون الإسرائيليّ [2]. بل مازالت تخضع لنظام أحواض تخمين تاريخيّة، حيث تمَّ تسجيلُ قِطَعِ الأراضي في هذه الأحواضِ، وتمَّ تَعريفها وفْقًا لـ«رسم الخرائط المساحيّة» لتحديد مقدار الرسوم الضريبيّة على الأرض التي يُمكنُ تسجيلُها وفْقًا لنظام تسجيل سندات الأرض التقليدية.

(1) خمايسي، راسم. 2020. تسوية وتسجيل الأراضي في القدس الشرقية: الإشكاليات، التحديات والإسقاطات. المقدسية، السنة الثانية، العدد السابع، صيف 2020، ص. 15–50.

(2) Zandberg Chaim, 2003. Jerusalem–Settlement and confiscation of land Right, Hameshbat, [the Law], 8, pp. 505– 519 (بالعبرية).

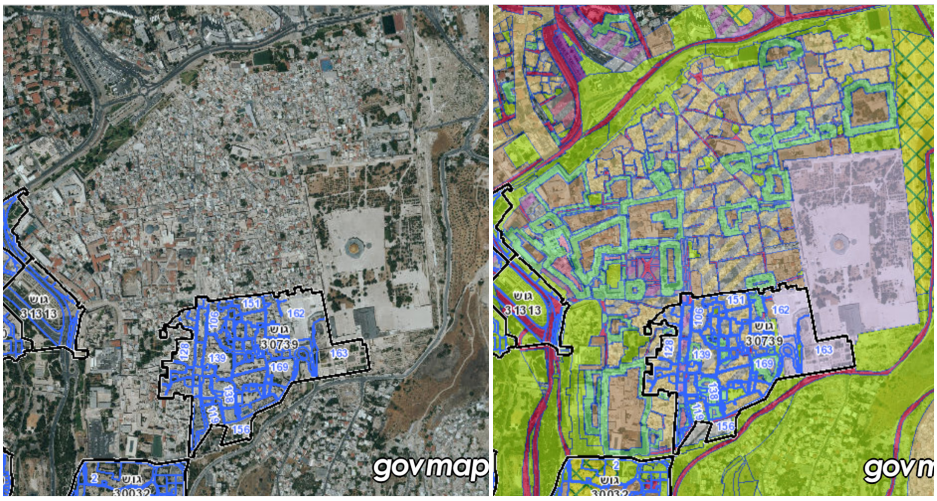

شكل رقم 3: خارطة صورة جوية (2021) لجزء من الحوض البصري للبلدة القديمة عليها مبين الأحواض التي تمت تسـويتها وتسجيلها حسب نظام الأراضي الإسرائيلي الرسمي (بلون أزرق من اليمين)، (ومن الشمال) مضاف علي الصورة الجوية طبقة استخدامات الأراضي المصدقة بموجب مخططات هيكلية

بعد مرورِ أكثرَ من 55 سنة على احتلال القدس، وبعد أنْ جمَّدَتِ السلطات الإسرائيليّةُ إجراءَ تسـويةٍ على الأراضي في القدس عام 1967م، مازالت غالبيّة الأراضي في الحوض البصري دون تسويةٍ وتسجيل رسـميٍّ. حال غياب تسجيل الأراضي وتسويتِها، يُدخل المجتمعَ الفِلَسْـطينيَّ المَقْدسيَّ في ورطـاتٍ، ومأزِقٍ، ودوائرَ سـحريّةٍ تهدد حفاظَه على مِلْكيّة أرضه في مكانه، وإعاقة تنميته بها. يخدمُ، حالَ غيابِ تسـوية الأراضي، وتسجيلها بالأساس السلطاتِ الإسرائيليَّةَ، التي تفرض وجوبَ توفُّر تسجيل الأرض، وتسويتها، كطلب أساسٍ لاسـتصدار رخصة بناء، وفي حالة غياب هذا التسجيل لا تصدر رُخَصُ بناءٍ؛ ما يوقع الفِلَسْـطينيّين بمصيدةٍ يتمُّ قضمُ فُرَص تطوُّرِهم، ويدفعهم لمخالفة شروط ترخيص البناء؛ لتوفير حاجاتهم السـكنيّة الأساسـية على أرضهم من ناحية، ومن ناحية ثانية تتَّهِمُهُمُ الدولة بمخالفتهم للقانون وتُعاقبُهم، رغمَ أنَّها هي المسـؤولة عن تسـوية الأرض والتخطيط؛ لِتُمكِّنَها من منحِ الرّخـص، وفَضِّ الشراكات المتعاقبة وزيادة حالة

الشيوع على الأرض، وتشويه معرفة حدود المِلْكيّة الخاصة [1].

كما أنَّ غياب التسوية، وتسجيل الأراضي، في محيط الحوض البصريّ، يُحدث إعاقةً أساسية في تطوير فِلَسْطينيٍّ، ويُسْهِمُ بشكل شِبْهِ مبطَّنٍ ومُعلنٍ في تهويدها، ونقلها لسلطة الدولة بطريقتين أساسيتين: الأولى: بوساطة المصادرة على أساس استخدام قانون التنظيم والبناء الإسرائيليّ، لعام 1965م، وتعديلاته، والذي يُجيز مصادرة أراضٍ دون تعويض حتّى 40 % من مساحة قطعة الأرض، وفي حال عدم وجود تسوية أراضٍ، فإنَّ هذه النسبة تزداد، دون قبولٍ، أو اعتراف بادِّعاء مالكٍ، أو حائز أرض غير مسجَّل رسميًّا. أمّا الثانية فهي باستخدام قوانين ومرجعيّات قانونيّة متعدّدة تُمَلِّكُ الدولةُ الأرض، في أيِّ حال لم يُثْبِتْ حائزُ الأرض مِلْكيَّتَه الرسمية على الأرض [2].

وفي حالة انتقال الأرض بين الأجيال دون تسجيلٍ وتسوية رسميّةٍ، تتشتَّت المِلْكيّةُ والحيازة العرفية على الأرض، وتتقلَّصُ مساحة الأرض المستحقَّةِ بحُكْمِ التوريث بين الأجيال؛ ما يجعل إمكانَ الاستفادة من تشرذم وتعدُّدِ المالكين، غيرَ مُجْدٍ؛ ما يدفع إلى ترك الأرض، وتأتي البلديّة أو سلطات الدولة بوضعِ اليد عليها وامتلاكها. من ناحية ثانيةٍ فإنَّ شَرْذَمَةَ المِلْكيّاتِ دون تسويةٍ رسميّةٍ تزيد من الصراع عليها بين الوَرَثة، أوِ المُستفيدين؛ ما يزيد العنفَ المجتمعيَّ، خاصّةً أنَّ تغيير الأجيال يُبعدها عن نظام الأعراف الذي بموجبِهِ يُمكن التّمليكُ، وفي بعض الحالات يتمُّ تسريب الأراضي بوساطةِ سماسرةٍ لجمعيّات يهوديّة صهيونيّة، أو لأفراد؛ ما يدفع لاستيطان إسرائيليٍّ في قلب الأحياء العربية. هذا

(1) Khamaisi Rassem. 2019. «The Trap of Urban Planning Development in Jerusalem,» Contemporary Arab Affairs, Vol. 12, no. 2, pp: 105–138.

(2) Lven–Shnor Ronet, 2011. Privatization, separation and discrimination–the movements of the order of rights in real estate in East Jerusalem, Eyone Meshbat, [Legal Theory], no. 34, pp. 183– 238.(بالعبرية)

الحال نشـــهده على سبيل المثال في البلدة القديمة، سُـــلوان، عين اللوزة، وادي الجوز، ما يُمكنُ تحقيقُ التغلغل الاستيطاني الإسرائيليّ في محيط الحوض البصريّ.

6. ضبط سكّانيّ وإسكانيّ

تتعامل الحركة الصهيونيّة، وحاليًّا إسرائيلُ مع الديموغرافيا العربيّة الفِلَسْطينيّة كخطر وتهديـــدٍ قُطْريٍّ، إقليميّ ومدينيّ [1]؛ ما يدفعُها إلى صياغة سياســـات جيو- ديموغرافيّة تؤمن أغلبيّة يهوديّة في محيطٍ تبســـط ســـيادتَها عليه. وتُعَدُّ الدّيموغرافيا في القدس إحدى القضايا الشـــائكة والمعقَّدة؛ لارتبـــاط المكان/ المدينـــة بِقِيَمٍ وعقائدَ دينيّـــةٍ، وسرديّات وواقعٍ جيوســـياسيّ مركّب. لذا تعمل المؤسَّســـات الإسرائيليّة على ضبط زيادة السّكّان الفِلَسْـــطينيّين في محيط القدس، خاصّةً في محيط الحوض البـــصريّ؛ لأجل تقليل عددِهم باســـتخدام مركّبات مصفوفة الضبط، خاصّةً ضبط فُرَصِ السَّكن وتقليلَها، ومنعَ زيادةِ فُرَصِ الإســـكان في هذه المنطقة الحسّاسة، بوســـاطة منعِ إقرار مخطَّطات هيكليّة، إغلاق مناطقَ أثريّةٍ، أو مَحْميّات طبيعيّة، وحدائق وطنية، وعدم مبادرة بإقامة مشـــاريع إسكان. بالمـــوازاة يتمُّ نشرُ خطابٍ ولغةٍ يطرح بهم، ويَعْرِضُ من خلالهم شـــيطنةَ زيادة السّـــكّان الفلسطينيّين في الحوض البصريّ، وأنَّهم يُشكِّلون تهديدًا على المكان ومستقبله، والموروث الـــذي يجمعه هذا الحوض البـــصريّ [2]. نظرةٌ فاحصة لعرضِ المُعطيات حَسْـــبَ الانتماء الوطنيّ (فلسطينيون مقابل إسرائيليين) حَسْـــبَ الحيّزات الإدارية/ الأحياء، الوظائفيّة والعمرانيّـــة تُظهر تفاوتًا في الميزان الدّيموغرافيّ بين الفلســـطينيّين والإسرائيليّين. تُشـــير المعطيات إلى أنَّ الفلســـطينيّين في بلدة القدس القديمة يُشكِّلون أغلبيّةً مطلقة (91,4 % فلسطينيون مقابل 8,6 % إسرائيليين)، رغم السياسةِ الحثيثة لتهويد حيِّزِ البلدة القديمة،

(1) بيغمان عكيفا. الشـــيطان الديموغرافي: أســـطورة أم حقيقة، مجلس المســـتوطنات ليهودا والسامرة، 24 ,8 ,2011 (بالعبرية). http://www.myesha.org.il /?CategoryID=336&ArticleID=5136

(2) Khamaisi, R. (2019). Demography in Jerusalem: Reality, Transitions and Forecasts, SIYASAT ARABIYA, Vol, 39, July, P. 7- 29.

ودفعِ ســكّان يهود للسكن بها. وإنَّ نسبة العرب الفلســطينيّين في حوض البلدة القديمة يُشكِّلون أغلبية مطلقة تصل لحوالي 2 ,98 % فلسطينيّين مقابل حواليْ 8 ,1 % إسرائيليين كــما يبين الجدول1، وذلك نتيجةً، أوْ بالرَّغم من سياســات تهويد المــكان. بالمقابل، فإنَّ نســبة السّكّان الفلســطينيّين في القدس الشرقيّة تجاوزت 8 ,60 % مقابلَ 2 ,39 % نسبة المستوطنين الإسرائيليّين. أمّا إذا أخذنا بعين الاعتبار مُجملَ السكّان بمدينة القدس حسب الحدود التي وضعتهــا إسرائيل، فَنَجِدُ أنَّ الميزان الديموغــرافيّ هو لصالح الإسرائيليّين مُشكِّلين 61 % مقابلَ 39 % فلسطينيّين عامَ 2020م [1].

جدول 1: توزيع السكّان في أحياء الحوض البصريّ للبلدة القديمة؛ حَسْبَ الانتماء القوميّ 2019

اسم الحيّ	رقمه في خارطة الأحياء[2]	عدد السّكّان / شخص	نسبة العرب/ الفلسطينيّين	نسبة (عدد) اليهود وآخرين
البلدة القديمة	25	315206	89 ,5	10 ,5 (3310)
الحيّ الإسلاميّ	2511	22340	98	2 (44)
الحيّ اليهوديّ	2512	3010	39	61 (1836)
الحيّ المسيحيّ	2513	2230	50	50 (1115)
الحيّ المسيحيّ	2514	3940	92	8 (315)
سُلوان	2611	19510	97	3 (58)

(1) https://jerusaleminstitute.org.il /wp-content /uploads /20222022 /05 /-%D7%A2%D79%C-%D7%A0%D7%AA%D795%D7%A0%D799%D799%D79%A-%D7%A2%D791%D7%A8%D799%D7%AA-%D793%D799%D792%D799%D798%D79%C.pdf

(2) https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2022/05/%D7%9E%D7%A4%D7%AA-%D7%90%D7%96%D7%95%D7%A8%D7%99%D7%9D-%D7%A1%D7%98%D7%98%D7%99%D7%A1%D7%98%D7%99%D7%99%D7%9D-2022.pdf

الثوريّ	2612	12370	99	1 (12)
رأس العمود	2613	21220	97	3 (67)
الطـور وسـفوح جبل الزيتون	2312	29500	100	0
وادي الجـوز والشيخ جراح	2411	13680	99	1 (13)
بـاب الزاهـرة- مسعودة	2412	6250	99	1 (6)
جبل المكبر	2711	25390	99	1 (3)
المجمل		190960	98,2	1,8 (3469)

Table III/5 - Population of Jerusalem by Population Group, Quarter and Sub-Quarter, 2019.

https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/202105//shnaton_C0521.pdf

تطبيق مصفوفة الضبطِ لضخِّ سكّانٍ، وإقامة مستوطنات إسرائيليّة في الحوض البصريّ، من ناحية، وضبطِ زيادة السّكّان والإسكان الفِلَسْطينيّ، ما زالت البلدة القديمة، ومحيطها الحوضُ البصريُّ بموجب التعريف المُقلّص، أوِ الواسع تعيش به أغلبيّة فِلَسْطينيّة مطلقة، رغمَ استمرار تطبيق مصفوفةِ الضَّبط الإسرائيليّة عليها. هذه الأغلبيّة تعاني من مشكلاتِ تحديثٍ حضريٍّ، جودةِ حياةٍ، وضائقةٍ سكنيّة، وحصرٍ حيزيّ يستخدم التخطيط الحيزيّ الرسميّ كأداة للحصر، وإعاقةِ استدامة التنمية؛ ما سيزيد من حالات العنف الاجتماعيٍّ، وهجرة فِلَسْـطينيّة سلبيّة، خاصّةً للطبقات الاجتماعيّة متوسِّطةِ الحال للتفتيش عن جودةِ حيـاةٍ، والخروجِ من مصيدة الضَّبط الممارسـةِ على الحوض البـصريّ المَقْدسيّ، من أجل اسـتبدال السكّان به؛ باستخدام سياسـات التجديد الحضريٍّ، وتنمية مشاريعَ اقتصاديّةٍ سياحيّةٍ، بدلَ توفير السكَنِ اللائق للفِلَسْطينيّين.

7. التخطيط الحيزيّ الضابط المُمَيّز

ترجمــةٌ عمليّة لمجمل مركَّبات مصفوفة الضبط التي تمارســها، وتُطبِّقها الســلطات الإسرائيلية من خلال مؤسســات التنظيم الحيزي المركزية المعمول بها قسرًا والمُكَونة من مستويات مختلفة تشمل الحكومة الإسرائيليّة، لجان تنظيم قُطْريّة مركزيّة، وفرعيّة قطاعيّة، ولجنة محلّيــة للتنظيم والبناء ذراع البلديّة بالتخطيــط، والترخيصِ، والرَّقابة، بما في ذلك فَرْضُ الغرامات، إصدار أحكام بهدم مبانٍ، وتنفيذ هذه الأحكام. مؤسَّساتُ التَّنظيم هذه مشــكلةٌ من ممثِّلي أذرُعٍ وأجهزةٍ إسرائيليّة، دون حضورٍ وتمثيلٍ عربيٍّ فِلَسْــطينيٍّ، لتُشكِّل وســيطًا مؤسَّساتيًّا مُنَظَّمًا لتطبيق الأيديولوجيّة الدينيّة والجيوسياسيّة التي تسعى الحكومة الإسرائيليةُ، ومؤسَّســات يهوديّةٌ محلّيّة وعالميّةٌ إلى إنجازها في القدس، وخاصَّةً في المحيط البــصريّ المَقْدسيّ. كما أنَّ مركَّبات مصفوفة الضبــطِ المتعلِّقة بالتخطيط الحيزيّ، خلقت وكوَّنت منظوماتٍ ومؤسَّســاتٍ ثنائيةً ومزدوجةً قُطريّةً وبلديّة، تعمل في الحيِّزِ نفسِه؛ ما تُســهم في زيادة تعقيد تعامل التخطيطِ الحيزيِّ العقلانيّ التشــاركيّ البديل، المبادَرِ له من المجتمعِ المحلّيّ الفِلَسْــطينيّ لصَــدِّ العدوان التخطيطيّ القائم. حيــث إنَّ تنظيمَ الوجود الفِلَسْطينيّ في محيط الحوض البصريّ المَقْدسيّ وتخطيطَه وتنميتَه، يُشكِّلُ خطرًا، من وجهة نظرِ إسرائيلَ ومؤسَّســاتِ التخطيط بها، على تطبيق المــشروع الأيديولوجيّ الإسرائيليّ المترجم للرواية الإسرائيليّة، ويتشــابك معها، ويُصارعهــا بمفاهيمَ تخطيطيّةٍ تعتمد على مركَّباتٍ أخلاقيّةٍ إنســانيّةٍ تُلبّي احتياجاتٍ وجوديّةً للفِلسطينيّينَ في الحيّز الذي يعيشون فيــه. هكذا يُشــكِّلُ الصراع عــلى التخطيط الحيزيّ ســاحة عِراكٍ مهنيّ/ ســياسيّ بين مشروعَيْنِ: مشروعٍ إحلاليّ يُطبَّق من فوق، يستخدم قوَّةَ الدولة والبلديّة؛ لتطبيق مصفوفة ضبطٍ يمارسُها من خلال أجهزة التنظيم والتخطيط، تسوية الأراضي، ومنحِ رخصة البناء؛ مشروعٍ تنمويٍّ مبادَرٍ له من تحت، من المجتمع المحلّيّ الفِلَسْطينيّ، تستخدم التخطيط كأداةٍ للدفاع، حتّى في المحاكم الإسرائيليّةِ المفروضة عليه.

ترجمةُ هذا التخطيط الضابط على الحــوض البصريّ، كان من خلال مُخطَّط هيكلي القدس 2000، والذي صاغ سياسات واضحة لحفظ وضبط التطوير في محيط الحوض البصري، وحدد اســتخدامات أراضي تتجاهــل الوجود العربي الفلســطيني القائم والمطلوب في محيط الحوض البصري مثل إبقاء كل حي سلوان ومحيطه كمنطقة خضراء (انظر شــكل 4). هذا المخطط اســتخدم موروث التخطيط الانتــدابي، عدّله وطوّره بالاعتماد عــلى تغيرات في نماذجَ (براديم)، وسياســاتِ التَّخطيط الحيزيّ الإسرائيليّة؛ لتحقيــقِ أهدافِها للتعامل مع الحال المُنشــأ، واســتشراف المســتقبل، وتحقيقِ الرؤية والأهداف في ظلِّ إنهاءِ حالٍ به سيطرةٌ مؤقَّتةٌ على القدس، إلى تثبيتِها من خلال تخطيط حيزيٍّ موجَّهٍ يشــملُ القدس الغربيّة والشرقيّة كَوَحْدَةٍ حضرية، جيوسياسيّة وبلديّة، وفي مركزِها البلدةُ القديمةُ وحوضُها البصريّ. وإنَّ مبادئ التخطيط الأساســيّة التي عَرَضَها لأحكامِ المُخطَّطِ تتلخَّصُ بالنِّقاط التالية:

1. تحديدُ البلدة القديمة، كَمِنْطقةٍ تَلْتزم فيها كلُّ خطّةٍ تفصيليّة بتضمينِ أحكامٍ تَضْمَنُ الحفاظَ على تراث الماضي بجميع مُكوّناته، جنبًا إلى جَنْبٍ مع نسيج الحياة القائم.
2. تعريــفُ المدينة القديمة مع وَضْعِ أحكامٍ مع التّركيز على المناظر الطبيعيّةِ والتّراث، والسّياحة، والآثار، جنبًا إلى جَنْبٍ مع الإسكان.
3. تحديدُ الحوض البصري للبلدة القديمة، ومَمّرات المراقبة منها وإليها، مع وضع قيود البناء في منطقتها.
4. تعريــفُ المدينة التاريخية، والأحياءِ التاريخيّةِ، كموقــعٍ، أو مُجَمَّعٍ؛ للحفظ، وَوَضْعِ التعليماتِ التي يتمُّ بموجبها وَضْعُ خطّةٍ شــاملةٍ مع تعليماتِ التّرميم لكلِّ موقعٍ، وَوَضْعِ التّعليماتِ المتعلّقة بالموافقة على المُخطّطات التفصيليّة؛ حتّى يتمُّ إقرارُ هذه الخطّةِ.

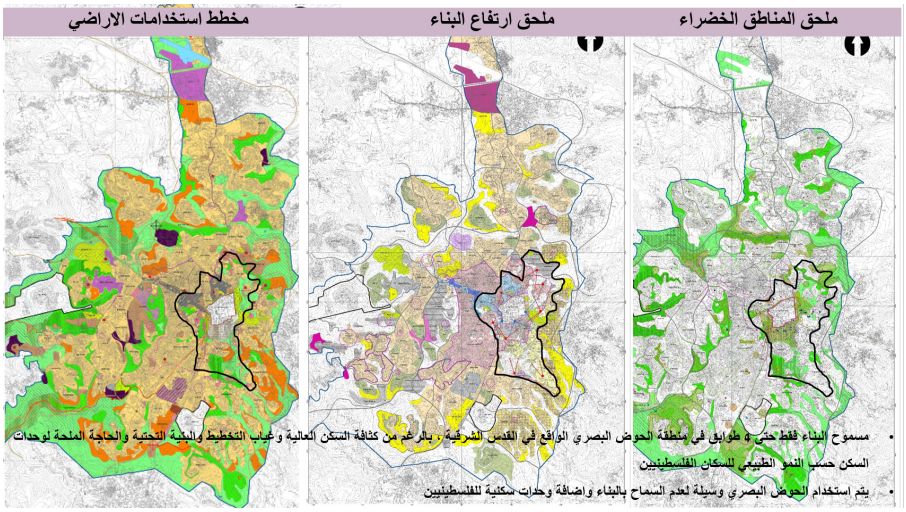

شـــكل 4: خارطة مخطَّط القدس 2000، وملحقاته المحدَّدة للمناطق الخضراء، ارتفاعاتُ المباني، وتحديدُ موقع الحوض البصريّ، كما تمَّت الإشـــارةُ إليه في المخطَّط. رغْمَ أنَّ هذا المخطَّطَ لم يُقَرّ رســـميًّا حســـب القانونِ، ولكن تمَّ تبنّي معظمِ الســـلطاتِ العاملة في توجيـــهِ التخطيط المحلّيّ التفصيليّ، وإقرارِه، لتوجيه سياسات التخطيط الحاليّة والمستقبليّة نحو عَقْدَيْنِ من الزمن والذي بموجبه يُمْكِنُ مَنْحُ رُخَصِ بناءٍ.

خاتمة

ليس عَرَضًا أنَّ أحد خطوط المواجه الســـاخنة بين الفِلَسْـــطينيّين والإسرائيليّين يتركَّزُ حاليًّا في محيط البلدة القديمة، وحوضِها البصري. هذا الصراع يُمثِّل الصراع على الرواية الحضور/ الوجود، واســـتشراف التطوير والتنمية. كما أنّه صراع بين مَنْ هو الثابت، ومن هو المؤقَّت، وكيفية تحويل هُوِيّةِ المكان وطابَعِه، باســـتخدام مصفوفة ضبطٍ تمارســـها قوَّةُ الدولة، وأذرعُها؛ لتحويل المؤقَّتِ الجيوســـياسيّ إلى ثابت مع «حقوق» مكتسبة مهندسة لأجل إقرارها بأنها غير قابلة للتغيير في ظروفٍ جيوسياســـيّة مســـتقبليّة. هذه «الحقوق» المكتســـبة باســـتخدام القوَّة العســـكريّة، ناكرة للحقوق الوجوديّة للسّـــكّان الأصليّينَ الشرعيّين، وغير مُقرّة بروايتهم، ولا تسمح بتلبية احتياجاتِهم الحياتيّة اليوميّة، ومتطلَّباتهم، وطموحاتهم؛ لإحقاق حقِّهم الطبيعيّ في مدينتِهم. الصراع المعلن والمبطَّن، القاسي واللّيّن

في محيط الحوض البصري سوف يزداد على خلفيّة الصِّدامات اليوميّة، ورفض السلطات الإسرائيليّة مَنْحَ الفِلَسْطينيّين حقوقَهُمُ الطبيعيّة، بل تقوم بمعاقبتِهم، وصَدِّ آفاق التطوُّرِ لهم في مدينتهم، وسَدِّها.

حاوَلْنا بهذه الدّراسة الموجزةِ إلقاء الضَّوْءِ على حال الصراع في الحوض البصريّ المَقْدسيّ المحيط بالبلدة القديمة. هذا الصراع يبدأ من إنتاج الاصطلاح المعرف للمكان مترجم لرواية تسعى إلى هندسة الوعي، وتؤسِّس لأخلاقيّات استخدام مصفوفة الضّبط؛ لتحقيق مشروع الدولة المسيطرة، والتي تُنكِرُ الحقَّ الطبيعيَّ للسكّان الأصليّين، وتَحْرِمُهم من ممارسة حقِّهم الطبيعيِّ في مدينتهم، وإنتاج حيِّزِهِم. لذا لا بدَّ من إنتاج وتبنّي اصطلاحات شبه حياديَّةٍ تترجم رواية، رؤية تُشكِّلُ أساسًا لصياغة حيِّزِ المدينة الحضري. هذا الحيِّزُ المنتج يُمَكِّنُ من خفضِ الحقوق الأساسية الفرديّة والجمعيّة للإنسان، المُقَرَّةِ بالمواثيق الدوليّة والعُرْفِ المحلّيّ، ومع ذلك تلبيةُ متطلّبات السكّان دون عدوان عليهم، وعلى مستقبلهم، وفتحُ آفاق لتطوير المدينة وللوصول إلى تسويات جيوسياسيّة تخفض مستوى الصراع على المدينة والصدام بها. أشرنا بالمقال إلى حساسيَّةِ البلدة القديمة وحوضها البصريّ، وإنَّ استمرارَ السُّلطاتِ في تطبيق مصفوفة الضبط، سوف تُؤجِّجُ الصراعَ، وتُهدِّدُ الاستقرار في المدينة والبلاد.